أولا : الدراسة

الخوارج طليعة التكفير في الإسلام

تحقيق

إمام حنفي سيد عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد

يعد الاختلاف وجه من وجوه الرحمة وإثراء الحياة ، عندما يتفهم الناس حقيقة هذا الاختلاف ، ولمَ أوجده الله على الأرض والغاية من وجوده . .

فقد أوجدنا الله شعوباً متباينة لغاية وهدف ، هو التعارف والتعاون على ظهر الأرض ، وتبادل المنافع المتعددة . . ولذلك قلنا من قبل إن التعددية غاية من غايات الوجود . . ولو تماثلت الأشياء لانعدمت الحياة على الأرض ، ولتحولنا إلى مسخاً ونسخاً متشابهة .

أما من حيث العقائد والمذاهب والأديان ، كان الاختلاف فيها إرادة إلهية ولا رد لمراده فينا ، تعالى ربنا الذى أبدى قدرته فى خلقه . . وكل إنسان لا يحترم هذا الاختلاف بين البشر معاند ومفتر على الله . . حيث يريد أمراً مخالفاً لما أراد الله .

وقد أرشدنا الله إلى أن نحترم الاختلاف فيما بيننا ، ونتعايش فى إطار مفهوم رحب ، يضم المذاهب المتباينة تحت مظلة الشريعة الإسلامية السمحة . . وما نراه من صراع بين مذهب وآخر ، هو من صنع البشر أنفسهم بداع من دواعى العصبية والتشدد وضيق الأفق . .

والإسلام دين جاء ليخرج الإنسان القبلى المتعصب والمتطرف إلى ساحات رحمته الرحبة . . ولكن وجد من ضاق برحابة الإسلام وسماحته . . ولاذ فاراً من أنواره ولبس عباءة التزمت والتطرف والغلو . . ومارس سلطة التكفير والتبديع والتفسيق والحكم على الخلق . . وحمل فى يمينه جنة وفى يساره نار ، فشوه حقائق الإسلام . . !

ومن العجيب الحديث عن الخوارج كفرقة سياسية لها آراؤها فى الدين والسياسة والمجتمع ! . .

وظنى أن شعاراً واحداً ينبغى أن يجمع الخوارج ، عدا الإباضية منهم ، وهو التكفير ، ولذلك صدرنا تحقيقنا بدراسة عن الخوارج أسميناها «**الخوارج طليعة**

التكفير فى الإسلام».. بينا وجوه الشبه بين هؤلاء القدماء المتشددين ، وأبنائهم فى العصر الحديث ، قدر الإمكان وبعيداً عن الانزلاق فى فقه الجماعات الإرهابية ، التى جمعت بين الحق والباطل والعمالة والقتل ، وتأجير نفسها لدول أجنبية ، أومذاهب سلفية ضيقة مآلها للاندثار..

ونحن نحاول أن نحارب الظلام بالفهم والتعقل ، وإيضاح الأمور ، ولا نهادن أحداً، فالأمة تواجه منعطفاً خطيراً ، من حيث وجودها وتقرير مصيرها .. فقد باتت مهددة فى وجودها ، إن لم تحدد موقفها بوضوح ، فعالجت قضاياها الملحة ، مثل تحديد موقفها من الهوية ، وتبنى الوضعية الإسلامية ، حقيقة لا اسماً ، فى توجهاتها السياسية فى الداخل والخارج ، وكذلك على جميع الأصعدة الأخرى الاقتصادية والاجتماعية .. إلخ ، وخلق الشخصية المتميزة ، التى تستطيع أن تتفرد وتتميز ، وخلق الروح المبدعة فيها من جديد .. كما أن على الأمة الانحياز كلية نحو الديمقراطية ، وبعث دواعى الوحدة القومية العربية والإسلامية ؛ والتحدى فى عصر العولمة والكوكبية ، والحوار مع الآخر ، وفهم جوهر التعددية فى الإسلام .

وليس لنا خيار أمام كتائب التحلل الأخلاقى ، والإرهاب المسلح ، إلا التنوير الإسلامى الحقيقى ، القائم على أسس راشدة من حب الدين والوطن ، وإخلاص الوجه لله الواحد العلى القدير ، ولذا :

أسأله الهداية والتوفيق ،

إمام عبد الله

القاهرة ٢ / ٦ / ٢٠٠٠م

الفصل الأول

الخوارج طليعة التكفير فى الإسلام

تمهيد

حاول علماء الفرق تقسيم العالم فلجأوا إلى تقسيمه بحسب البيئة ، أو جغرافية المكان فأهل الشمال يختلفون عن أهل الجنوب ، وأهل الشرق يختلفون عن أهل الغرب ، وتبعا لذلك تختلف طبائعهم وتتباين شرائعهم . .

أو تقسيمهم تقسيماً أممياً فأمة العرب غيرأمة العجم ، وأمة **الهند** غير أمة **الرومان** من وجوه ، عدة من حيث الزواج والحكم ، والتفكير والوجدان ، والإيمان بالروحانيات والهيئة الجسمية والمزاجية .

ولكنهم اعتمدوا التقسيم العقائدى ، فأصحاب الديانات السماوية ، غير أصحاب الديانات الأرضية ، ثم قسموا كل فريق إلى أقسام داخلية ، **فاليهود** غير **النصارى والنصارى** غير **المسلمين** . . وهكذا.

وكان هدفهم البحث عن أى الفرق على الحق وأيها على الباطل ، وطبيعى أن يحاول علماء الفرق المسلمين إثبات أن الحق فى الإسلام وعقائده ومع أهله ، واستعانوا على ذلك بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة ، ولكنهم راحوا يقسمون فرق المسلمين إلى أقسام داخلية هم الآخرون ، تاسيساً على حديث : «**ستفترق أمتى..**» وقرروا أن الحق مع فرقة واحدة ، دون جميع الفرق ، مما حدى كل فريق إلى الاستعانة بهذا الحديث على أن الحق معها دون غيرها ، وأنها تلك الفرقة المقصودة فى حديث رسول الله ، ﷺ ، وأنها هى وأصحابها فى الجنة وسواها فى النار ! . . أى أن الأمر انتهى إلى تقرير أحكام دنيوية وأخروية . . وتبع ذلك سلسلة من التكفير والتفسيق والتضليل ، انتهت بالأمة إلى موقف مخزى وعاقبة وخيمة . . إذ صارت جميع فرق الأمة بناء على ذلك ضالة، وأن ليس هناك حق مع أحدها . . وظهر التعصب الأعمى ، وتفشى الحقد والحسد بين طوائفها ، وكانت البداية إيمان كل فريق بأن الحق معه وحده دون غيره ، سواء كان رأيه فى ثوابت العقيدة أم متغيراتها ، أو رأيا سياسياً أو اجتماعياً لا علاقة له بالدين كلية !

ولإدراك آثار اعتماد حديث الفتن مرجعية عند مؤرخى العقائد يقول د/ عبد الحليم محمود : «لقد أثار هذا الحديث تفنن كثير من مؤرخى الفرق الإسلامية،

فخيل إليهم أنه من المحتم عليهم أن يبلغوا بالفرق الحد (ثلاث وسبعين فرقة) الذى ذكر فى هذا الحديث».

«والشهرستانى» فعل ذلك فأخذ فى تعداد الفرق ، وحصرها فى العدد المذكور ، وكأنه قد تيقن أنه سوف لا تنشأ حقيقة فرق بعده ، وكذلك ابن الجوزى فى «تلبيس إبليس» .. وتبع هؤلاء عشرات من مؤرخى الفرق سنية أو شيعة أو من غيرهما..

وإذاكان تقسيم ابن الجوزى قد اختلف عن تقسيم الشهرستانى ، فاعتمد الثانى عدد الفرق الرئيسية ، واعتمد الأول عدد كل فرقة من داخلها ، إلا أنه كان تقسيماً ساذجاً حاولوا التخلص به من النقد الذى وجه إليهم [1] !

لقد اتسم حديث المؤرخين حول عدد الفرق بالتعسف ، حين حاول كل فريق أن يفسر هذا العدد على هواه ، وبما يتفق مع العدد المذكور فى الحديث ، إن اتفاقاً واختلافاً ، بمعاندة الحقيقة أو بالاعتذار عنها كما فعل الرازى.

فهل حقيقة أن كل فرق الإسلام فى النار إلا واحدة هى الناجية ، أما أن الحديث له روايات أخرى تجاهلها أكثرهم ، ولم يذكر إلا واحدة اعتمدها ، هى التى تقول أن الجميع فى النار هلكى إلا واحدة أصحابها هم أهل الجنة !.. سننظر فى ذلك.

«وقد وصل بهم الأمر فى تبرير رأيهم أن يتلقفوا كل ما يتوهمون أنه يساعدهم ، ولوكان باطلاً يدعوا إلى السخرية ، أو مجرد تخييل لا يقام له وزن .

فكيف تصور كل فريق تلك الفرقة الناجية ؟!.. رأى بعض علماء الشيعة أنها ينبغى أن تكون مخالفة لسائر الفرق ، مخالفة كبيرة ؛ حتى تنجو من النار وهى بهذه الصفة لا تكون سوى «الشيعة الإمامية» ، فهم يخالفون غيرهم من جميع الفرق مخالفة بينة، بخلاف غيرهم من الفرق، فإنهم يتقاربون فى أكثر الأصول.

وحديث المخالفة هذا مردود عليه ؛ لأنه لا يعبر عن الحقيقة ، فالشيعة يوافقون المعتزلة فى أكثر الأصول ، ولا يخالفونها إلا فى مسائل قليلة ، أكثرها يتعلق بالإمامة، وهى بالفروع أشبه ، فلم لا يشاركون الشيعة فى النجاة من النار؟!

---

(١) انظر د/ عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الإسلام ، ٧٢ ، ٧٣ .

يبدو أن الجنة عند هؤلاء المؤرخين حكراً على فريق بعينه ، والنار لسواه ، فالجنة ذات طابع أرستقراطي لا يدخله إلا خاصة القوم ، أما النار فذات طابع يسارى اشتراكى يجتمع فيها الآخرون على اختلاف فرقهم .. وهذا الكلام من قبيل المزاح .. تعبيراً عن السخرية بضيق أفق أكثر المؤرخين ، وتضييقهم لرحمة الله الواسعة ، حتى أنها لا تكون إلا لجمع قليل بعينه ، حاولوا تعيينه دون غيره!

وكما فعل عالم **الشيعة** السابق **«نصير الدين الطوسى»** ، فعل ذلك أيضا عالم **الأشاعرة «عضد الدين الإيجى»** فرأى أنه ينبغى أن تكون الفرقة الناجية هم **الأشاعرة**، ولنفس السبب الذى ذهب إليه **«الطوسى»** وهى أنهم يخالفوا غيرهم فى أكثر الأصول ولا يوافقونهم فى غيرها ، ومثال ذلك مخالفتهم للجميع فى مسألة الكسب الأشعرى ، وجواز رؤية الله تعالى - مع كونه غير جسم ، والرؤية لا تقع إلا على الأجسام - وتنزهه عن المكان والجهة - وهو ما يخالفون فيه أكثر فرق **المجسمة** والمشبهة والكرامية ، الذين يرون أنه بجهة فوق يجلس على عرشه ! - بل جوّزوا رؤية أعمى **الصين** بقة **الأندلس** - وهو مايعاند ضرورة العقل، وبراهين الاستدلال - وأن الممكنات من الله ابتداء كلها - بما فى ذلك أفعال بنى آدم - وكون صفاته : لا هى عين الذات ولا غيرها - وهو كلام ساذج لا يقره إلا المجانين، حولوه إلى عقيدة - والفرق بين الإرادة والرضا ؛ إلى غير ذلك من المسائل التى شنع مخالفوهم عليهم فيها» (١) .

ويعلق د/ عبد الحليم محمود على ما سبق تعليقاً رائعاً حيث يقول : أرأيت كيف يُتخذ الاختلاف والإغراق فى الابتعاد عن الآخرين أساساً للنجاة ؟!!.. ولو اتبعنا هذا الأساس لكان الإغراق فى الإلحاد أساساً للنجاة ، بل لكان التخريف ، أو تخيلات المجانين ، أكثر قرباً للنجاة : لأنها أكثر ابتعاداً عن آراء الآخرين !!..

وبهذا المعيار السابق فالفرقة الناجية هى **المعتزلة** فى رأى المعتزلة ، والكرامية فى رأى **الكرامية** ، **والمشبهة** فى رأى المشبهة ، وكل فرقة ترى أن من عداها فى النار!

---

(١) انظر العقائد العضدية ، ص٢ .

فكيف يمكن فهم هذا الحديث .. وهل هو متوقف على رواية واحدة ؟.. فلابد أن نقف على حقيقة هذا الحديث وقيمته عند المحدثين، حتى نحلل المشكلة والآثار الناجمة عنها ، والتى خلفها اعتماده أساساً للفرقة !.. ويشترط من أجل ذلك أن يتجرد المسلم من العصبية المذهبية أولاً ، ليستقبل هذا الحديث بالتحليل والتفسير ، دون أى لوى للحقائق حسب مراد أى فريق .

ذكر **الشهرستانى** هذا الحديث فى كتابه «الملل والنحل».. على النحو التالى : «**ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة ، والباقون هلكى . قيل : ومن الناجية؟ قال: ما أنا عليه وأصحابى**»[1]. وجعله ركيزة لتقسيم الفرق الإسلامية وغير الإسلامية فى كتابه .

وكذلك فعل **البغدادى** فى كتابه «الفرق بين الفرق»[2] .. ولكن هذا العمل لم يكن سلوكاً مطرداً عند مؤرخى الفرق، فقد خرج عليه «**ابن حزم الأندلسى**» فى «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» ، وكذلك **الرازى** فى كتابه «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» .. فلم يذكر هذا الحديث .. ويبدو أنهما لم يجدا تفسيراً لكثرة الفرق وقصيرها على ثلاث وسبعين .. أو أنهما رأيا مخالفته للواقع وتأكيده على مفهوم الفرقة الذى يحاربه الإسلام ، عقيدة ومنهاجاً ، وإرساء لمفهوم العصبية المقننة .

كذلك لم يرو هذا الحديث فى الصحيحين : **البخارى ومسلم** .. ولكن هذا الحديث رواه **أبو داود** فى سننه ، وكذلك **الترمذى** فى جامعه ، **والحاكم** فى مستدركه، **وابن حبان** فى سننه عن **أبى هريرة** ، كما سبق وذكرناه .

وقد جاء هذا الحديث فى «**مسند الفردوس**»[3] تحت رقم (٢١٨٠) وذكره ابن فى تسديد القوس كذلك ، وكذلك رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة ، وجاءت له روايات أخرى عن أبى الدرداء وأبى أمامة وعبد الله بن عمرو وأنس وواثلة .

---

(١) انظر الملل والنحل ١ / ٢٠ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ، ص ٦ .

(٣) انظر مسند الفردوس ، ٢ / ٩٩ .. وانظر التسديد بهامشه .

موقف علماء الحديث منه :

وأنا سأذكر موقف علماء الحديث بالتفصيل من هذا الحديث لبيان أنهم بلغوا به حد التواتر ، فقد رواه **أبو داود** فى كتاب السنة من سننه [١] ، من رواية **أبى هريرة** ، وكذلك برواية عن **معاوية بن أبى سفيان** ، أما الترمذى فقد رواه فى كتاب الإيمان عن أبى هريرة وعلق عليه بقوله عنه : حديث حسن صحيح ، وزاد على ذلك فرواه رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ مختلف على النحو التالى : « **ليأتين على الناس ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه** علانية ، لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وإن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة . قالوا : ومن هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى » .

وعلق عليه **الترمذى** بقوله : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا ، إلا من هذا الوجه [٢] .

كما رواه ابن ماجة فى سننه كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم عن أبى هريرة وعن عوف بن مالك وأنس بن مالك [٣] .

قال فى الزوائد عن الحديث الثانى : « إسناد حديث **عوف بن مالك** فيه مقال : **وراشد بن سعد** قال فيه ابوحاتم : صدوق ، **وعباد بن يوسف** لم يخرج له أحد سوى ابن ماجة ، وليس له عنده سوى هذا الحديث ، قال ابن عدى : روى أحاديث تفرد بها .

وذكره ابن حبان فى الثقات ، وباقى رجال الإسناد ثقات . وقال فى الزوائد عن حديث أنس : « إسناده صحيح ورجاله ثقات » .

ورواه أحمد فى مسنده [٤] ، كما رواه الحاكم وابن حبان والبيهقى وصححوه [٥] .

---

(١) أبو داود ، ٤ / ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) الترمذى ، ٥ / ٢٥ - ٢٦ .

(٣) ابن ماجة ، ٢ / ١٣٢١ - ١٣٢٢ .

(٤) مسند أحمد ، ٢ / ٣٣٢ - ٣ / ١٢٠ - ١٤٥ .

(٥) انظر كشف الخفاء للعجلونى ، ١ / ١٦٨ - ٣٦٩ .

قال المناوى : قال الزين العراقى : فى أسانيده جياد . ورواه الحاكم من عدة طرق . ثم قال : هذه أسانيد تقوم بها الحجة، وعدَّه المؤلف – أى السيوطى – من المتواتر»[1] . وهذا ما ذكره محققا «فردوس الأخبار» [2] .

ويلاحظ تظاهر علماء الحديث على ذكر وتصحيح روايات هذا الحديث .. ولكن هناك حديث آخر رواه الديلمى ، يفيد ذم أصحاب الرأى والقياس ، وكأنه موجه للمذهب الحنفى!.. نصه : «**تفترق أمتى على سبعة وسبعين ، أعظمها فتنة على أمتى قوم يقيسون الأمور برأيهم ، ويحلون الحرام ويحرمون الحلال**» [3].

وبهامشه فى تسديد القوس رواه «الطبرانى عن عوف بن مالك أ. هـ. ورواية ابن حجر «**على نيف وسبعين**».

ويبدو منه أنه موجه لفريق بعينه من أهل الظاهر .

ولم يكن من الصعب العثور على حديث ينقض من عدة وجوه حديث أبى هريرة السالف الذكر .. فقد روى الديلمى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، بسنده أنه قال ، ﷺ : «**تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا فرقة وهى الزنادقة**» [4].

وفى تسديد القوس : «اسنده عن أنس . وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن أنس بلفظ : «**أهداها فرقة الجماعة**».

وقال **العجلونى** فى كشف الخفاء : رواه الشعرانى فى الميزان من حديث ابن النجار، وصححه الحاكم بلفظ غريب وهو : «**ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة**» .. وفى رواية عند الديلمى : «**الهالك منها واحدة**» .. قال العلماء: هى الزنادقة . انتهى [5] .

---

(١) المناوى ٢ / ١٠ – ٢١ ، والهيثمى مجمع الزوائد ، ٧ / ٢٥٧ – ٢٦٠ .
(٢) فردوس الأخبار ، ٢ / ٩٩ .
(٣) حديث رقم ٢١٧٦ .
(٤) حديث رقم ٢ (٢١٧٧) .
(٥) تسديد القوس ، ٢ / ٩٨ .

وفى هامش الميزان المذكور عن أنس عن النبى ، ﷺ ، بلفظ تفترق ... وفى رواية عنه أيضاً : «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إنى أعلم أهداها : الجماعة»[1] . ا . هـ.

وقال المحقق : ولم أجده فى الميزان ، ولكنه فى اليواقيت والجواهر له ، ٢ / ١٢٣ ، ونقل فى موضع آخر عند الحديث ! .. «أى العجلونى» عن اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى أنه قال : لا أصل له [2] ، أى بهذا اللفظ الذى ذكره الشعرانى [3] .

وهكذا تراوحت روايات هذا الحديث بين كون الكل فى النار إلا واحدة .. أو الكل فى الجنة إلا واحدة .. فمن نجيز ومن ننحى منهما ؟! .. أم نتولى كلتا الروايتين؟ علماء الحديث ومؤرخى الفرق من أهل السنة على اختلاف مذاهبهم أجازوا رواية : «كلها فى النار» ! .. فلماذا كان اختيارهم هذا ؟ .. ربما كان لاعتقاد الجميع أن الحق واحد ولا يكون إلا مع فرقة واحدة .. وأنه لا يتعدد ولا ينقسم ولا يتجزأ ! .. إذاً فلابد أن يسير الجميع من هذا الاتجاه ويدخلون هذا النفق .. ثم لماذا لم يعتمد علماء الحديث على قاعدة أن الروايات إذاً تناقضت تساقطت ولم يكن أحدها أولى من الأخرى؟!

***

محاولة علماء الفرق وضع قانون للفرق :

كذلك اختلفت آراء مؤرخى الفرق حول تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية ، يقول **الشهرستانى** : «اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً فى تعديد الفرق الإسلامية ، لا على قانون مستند إلى أصل ونص ، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود. فما وجدت مصنفين منهما متفقين على منهاج واحد فى تعديد الفرق» .

---

(١) الشعرانى : الميزان ، ١ / ١٦٩ .

(٢) الشعرانى : اليواقيت والجواهر ، ٢ / ١٢٣ .

(٣) العجلونى : كشف الخفاء ، ١ / ٣٦٩ .

(٤) مسند الفردوس وهامشه ، ٢ . ٩٨ .

وقد اعتمد الشهرستانى تقسيم الفرق بحسب قاعدة ارتضاها ، وهو ذكر الفرقة ثم ذكر أصولها ومذاهبها فى القضايا الأساسية ، وهى الصفات والتوحيد والقدر والعدل والوعد والوعيد والسمعيات والعقليات والإمامة ، ثم أورد بعد ذلك مسائل الخلاف فيما بينها وبين غيرها[١].

وهكذا وجدنا ان اكبر فرق الإسلاميين هى أربع : ١- القدرية .

٢- الصفاتية .

٣- الخوارج .

٤- الشيعة .

ولم يكن هذا التقسيم بعينه قاصراً على الشهرستانى ، فقد اعتمده ، بشكل أو بآخر ، كثير من علماء السنة والشيعة ، وامتد العمل به إلى وقتنا الحالى .. ولا مآخذ لنا عليه غير انه يحاول الوصول بالفرق إلى العدد الذى ورد فى الحديث .. وقد اعتذر بعض علماء الفرق ، عندما وجد أن الفرق - بمفهومه للفرقة - قد يزيد عن هذا العدد، بأن هذه أصول الفرق ، أما ما يندرج تحتها من فروعها فكثير ، وهو اعتذار أوحى به ضرورة التوفيق بين التعددية التى يراها المؤرخ ، وما جاء فى الأثر .

ونحن فيما يلى بصدد التعرض لفرقة الخوارج ، النشأة والفكر ، فمتى نشأت هذه الفرقة ، وما فكرها وما الفرق التى نجمت عنها؟ .. هوما سنذكره.

***

(١) الملل والنحل ١ / ٢١ ، ٢٢ .

الخـــوارج

يرى علماء الفرق أن **الخوارج والمرجئة والوعيدية** تجمعهم صفة الخروج بشكل أو بآخر إلا أن الخوارج هم كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه ويسمى خارجياً ، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان ، والأئمة فى كل زمان. ورغم أن **المرجئة** لهم صفة معينة يعرفون بها ، وهى الإرجاء فى الإيمان والعمل، إلا أنهم وافقوا الخوارج فى بعض المسائل التى تتعلق بالإمامة ، أى أنهم خالفوا جمهور المسلمين فى مسائل الإيمان ، وهى متعلقة بالعقيدة ، واتفقوا مع الخوارج فى مسائل السياسة والحكم ، المتعلقة بالسلطة .

أما **الوعيدية** فأولئك القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده فى النار ، وهى مسألة خلافية فى السمعيات ، تخص الأسماء والأحكام والتفسيق والتكفير فى الدنيا والآخرة[1]. ولكنهم جعلوها قاعدة تفكيرهم العقائدى وأساسه.

وقد اختلفت تسميات **الخوارج** .. فهم الخوارج جمع «**خارج**» ، وهوالذى خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه والب عليه ، وعلماء الفقه الإسلامى يسمون من فعل ذلك وصارت له شوكة «**الباغى**» وجمعه «**بغاة**» ، وأما **الحرورية** فنسبة إلى حرُوراء ، وضبطه **ياقوت الحموى** فى معجم البلدان هكذا : بفتح الحاء والراء المهملتين وبعدهما واو ساكنة فألف ممدودة ، «حَرُوْراء» ، وقال : «قيل هى قرية بظاهر الكوفة ، وقيل : موضع على ميلين منها ، نزل به الخوارج الذين خالفوا **على بن أبى طالب** ، رضى الله عنه!.. فنسبوا إليها ، وقال **ابن الأنبارى** : حروراء كورة ، وقال **أبو منصور** : الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج ، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا علياً ، عليه السلام ، قال : «**ورأيت بالدهناء رملة وعثة ، يقال لها : رملة حروراء**»[2] .

وقد وقع فى حديث **عائشة** ، رضى الله عنها ، أن **معاذة بنت عبد الله العدوية**

---

(١) راجع مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٥٦ ، والتبصير ، ص ٢٦ والبدء والتاريخ ، ٥ / ١٣٤ ، والفرق بين الفرق ، ص ٧٢ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٢٤٥ .

سألتها: «أتقضى إحدانا الصلاة أيام محيضها؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت ؟!.. قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله ، ﷺ ، ثم لا تومر بقضاء الصلاة» [1]. وهو ما اتفق عليه جمهور أهل السنة.

وذلك أن الحرورية يوجبون على الحائض إذا طَهُرتْ قضاء الصلاة ، وربما سموا فرقة من الخوارج بعينها .. «حرورية» ، وفى عبارة أبى منصور التى سبقت ما يفيد ذلك ، وقد ذكر مثل ذلك المقريزى فى المواعظ [2]. وقد اتسم تشددهم فى العقائد والفقه.

أما النواصب فجمع ناصبى ، وهو الغالى فى بغض على بن أبى طالب وهى فرقة خرجت بعد التحكيم إلى حروراء ، وهم يغالون فى حب الشيخين أبى بكر وعمر وبغض على بن أبى طالب ، رضوان الله عليهم أجمعين !.. وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «إنه سيدخل فيه الجنة والنار محب مفرط ومبغض منافق» .

وهى فرقة تتسم بالجهل والسذاجة والرعونة ، وربما كانوامن ذكرهم حديث رسول الله ، ﷺ ، «بأنهم القاسطون المارقون» ، وسياتى ، فقد خرجوا على الإمام على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤا منه ، وقد دون علماء التاريخ والمقالات أخبارهم وآراءهم ، وهم ينقسمون إلى عشرين فرقة [3] .

وأما تسميتهم «بالشراة» فهو بضم الشين مثل رماة وقضاة – جمع شار ، أما هم أنفسهم فانهم يفسرون ذلك على أن الشارى الذى هو مفرد الشراة اسم فاعل من الشراء ، ويزعمون أنهم سموا بذلك ، لأنهم باعوا أنفسهم لله ، تعالى ، على أن لهم الجنة ، يشيرون بذلك إلى قوله ، تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [4] . وهذه الآية نزلت فى السابقين الأولين ، من صحابة رسول الله ﷺ ، ولم تنزل فى مدح الخارجين على الأئمة ومكفرى الأمة !

وأما غيرهم فإنهم يفسرون ذلك على أن الشارى اسم الفاعل من « شرى الشر – من

---

(١) صحيح مسلم ، ١ / ١٨٢ ، طبعة الأستانة .

(٢) انظر المقريزى : الخطط ، ٢ / ٣٥٠ .

(٣) انظر المقريزى : السابق ، ٢ / ٣٥٤ .

(٤) سورة التوبة : الآية ١١١.

باب رضى » إذا استطار ، وزاد وتفاقم ، وقالوا أيضاً « شرى الرجل كرضى » إذا غضب ولج فى الخصومة وغيرها .

يقول **المظفر الاسفراييني** : « اعلم أن الخوارج عشرون فرقة ... وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما فى الكفر والبدعة .

١- **أحداهما** : إنهم يزعمون أن علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ، وكل من رضى بالحكمين كفروا كلهم .

٢- **والثانى** : إنهم يزعمون أن كل من اذنب ذنباً من أمة محمد ، ﷺ ، فهو كافر، ويكون فى النار خالداً مخلداً . إلا النجدات منهم فإنهم قالوا : إن الفاسق كافر، على معنى أنه كافر نعمة ربه ، فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم معنى الكفران لا على معنى الكفر . ومما يجمع جميعهم أيضاً تجويزهم الخروج على الإمام الجائر ، والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رسول الله، ﷺ[٢] . وهذا ما يؤكد أنهم لم يخرجوا عن إطار التكفير والتفسيق.

وقد أشار **الأشعرى** فى مقالاته فى بداية الحديث عن الخوارج إلى ما أجمعت عليه[٣] . وما ترتب عليه بعد ذلك من محاربة الأمة واستحلالها !

أول من خرج من الخوارج :

أما **الشهرستانى** فى فقد بحث فى بدايات ظهور الخوارج فقال : اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين على ، رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب **صفين** ، وأشدهم خروجاً عليه ، ومروقاً من الدين : **الأشعث بن قيس الكندى** ، **ومسعر بن فدكى التميمى**، **وزيد بن حصين الطائى** حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وأنت تدعونا إلى السيف!.. حتى قال : أنا أعلم بما فى كتاب الله !.. انفروا إلى بقية الأحزاب.. انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله ، وأنتم فقولون: صدق الله ورسوله.

قالوا : لترجعنَّ **الأشتر** عن قتال المسلمين ، وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا **بعثمان** .

---

(١) انظر صحاح الجوهرى ش ر ى .

(٢) التبصير فى الدين ، ص ٤٥ .

(٣) مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٥٦ ، ١٥٧.

فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع ، وولوا مدبرين وما بقى منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة . فامتثل الأشتر أمره [1]. وهذا الحديث يطلعك على حقيقة القوم البدوية والتى تعود إلى أصولها الجاهلية من العصبية وضيق الأفق والاستبداد بالرأى.

وكان من أمر الحكمين : أن الخوارج حملوه على التحكيم أولاً ، وكان يريد أن يبعث **عبد الله بن عباس** ، رضى الله عنه ، فما رضى الخوارج بذلك ، وقالوا : هو منك. وحملوه على بعث **أبى موسى الأشعرى** على أن يحكم بكتاب الله تعالى . فجرى الأمر على خلاف ما رضى به ، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه ، وقالوا: لمَ حكَّمت الرجال ؟!.. لا حكم إلا لله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا **بالنهروان**»[2]. وهو ما يدل على أن القوم كانوا قد بيتوا الخروج من قبل .

لقد كانت بواعث الفتنة والفرقة فى العالم الإسلامى ذات أسس سياسية تنازعتها العصبية والقبلية وسوء الفهم والرغبة فى السلطة..

عدد فرق الخوارج :

أما عن عدد فرق الخوارج فقد أجمع علماء الفرق على أنها عشرون فرقة ، إلا أن بعضهم عد الكبار منها فحسب ، وهى **المحكمة ، والأزارقة والنجدات ، والبيهسية ، والعجاردة ، والثعالبة ، والإباضية ، والصفرية** ، والباقون فروعهم [3].

ويستثنى منهم **محمد بن خليل المقدسى** فى «رسالته فى الرد على الرافضة» [4] قد عدهم سبعة وعشرين فرقة .. واكتفى بذلك ولم يذكرهم ، وعقب على ذلك بحديث لرسول الله ، ﷺ ، فى ذم الخوارج حيث قال : «**الخوارج كلاب النار**» [5] .

وقال : «**يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته** فى جنب صلاتهم ، **وصيامه فى جنب صيامهم يقرأون القرآن** لا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم ، يمرقون من

---

(١) الملل والنحل ، ١ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) السابق ، ١ / ١٣٣ .

(٣) انظر التبصير فى الدين ، ٤٥ - ٦٢ ، والملل والنحل ١ ، ١٣٣ - ١٦٠ .

(٤) انظر محمدالمقدسى :رسالة فى الرد على الرافضة ، مخطوط تحقيق ودراسة إمام عبد الله ؛ ١٤٥ .

(٥) الحديث اخرجه ابن ماجة ، واحمد ، والطيالسى .

الدين كما يمرق السهم من الرمية ، **فقالهم قتال الترك والديلم** .. وقال لعلى : **«يا على إنك قاتل القاسطين والناكثين والمارقين »** [1] .

وهذان الحديثان يشيران إلى عدة أمور منها الصفات الشخصية التى يعرف بها الخوارج ، كما يتنبأ بقتال على لهم ، وهو ما تحقق فى النهروان ، مما يشير إلى قرب خروجهم وقيامهم بمحاربة الإمام والنكث وتفريق كلمة الجماعة الإسلامية .

وما يجمع بين هذه الفرق السبع من الخوارج هو التبرؤ من سيدنا **عثمان وعلى** ، رضى الله عنهما ، وهو موقف سياسى بحت حاولوا برعونتهم جعله عقيدة دينية بها يدينون وعليها يصالحون ويخاصمون؛ فما علاقة ما فعله **عثمان** فى أواخر حكمه من تولية بعض أفراد أسرته للولايات العامة أو ضرب سيدنا أبى ذر الغفارى ، رضى الله عنه ، ونفيه من المدينة – وهو ما لم يحدث تحقيقاً كما ذكر أبو نعيم فى كتابه الإمامة – أواتخاذ موقف من بعض المعارضين من صحابة رسول الله ، ﷺ ، لحكمه وآرائه كعمار بن ياسر أو عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما ، أو عدم أخذ الزكاة من جهة الدولة وترك الشعب ينفقها كما يرى فى مصارفها الشرعية .. ماعلاقة كل ذلك بالعقيدة ؟!.. وكذلك ما فعله **على بن أبى طالب** رضى الله عنه فى التحكيم، لاينبغى فهمه إلا فى إطار كونه موقفاً سياسياً وعسكرياً بحتاً لا علاقة له بالعقيدة ..

لقد بلغ بالخوارج فى صدر الإسلام أن جعلوا الخصومات والآراء والمذاهب الشخصية خصومات فى الدين والعقيدة ، وهو أمر يصعب فهمه ، إلا إذا قلنا أن وراء ذلك بواعث أخرى من المذهبية والعصبية وكراهية واضحة لرموز الصحابة وقادتهم لا مبرر له . ولم يكن الخوارج يصدرون عن قاعدة محترمة من الفكر أو يعودون إلى أصول أحسنوا فهمها .

***

(٦) الحديث أخرجه مسلم ، وسيأتى .

١ - المحكمة الأولى

هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على ، رضى الله عنه ، حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ، ورأسهم عبد الله بن الكواء، وهو أول أمير للخوارج من حيث اعتزلوا جيش على وخرجوا عليه، ثم كان هو أحد الذين اختاروا عبد الله بن قيس « أبا موسى الأشعرى » فى قصة التحكيم[١] ، وعتاب ابن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسى ، وعروة بن جرير ، وهذا الأخير من رؤوس الخوارج وهو أول من حكم بصفين وكان له أصحاب وأتباع وشيعه ، وقد ظفر به ابن زياد الأموى فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه على باب داره ، وتوفى سنه ٥٨هـ فى خلافة معاوية ، وهو جزاء المحاربين وقطاع الطرق فى الإسلام[٢] .

ومن رؤسهم كذلك يزيد بن أبى عاصم المحاربى ، وله موقف مشهور مع أمير المؤمنين ، على بن أبى طالب فى صفين بعد التحكيم حيث بدا من الخوارج ما يشير إلى ما هم فاعلون فقال : الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل ، وهو قول الخوارج لا حكم إلا لله ، إن سكتوا عممناهم - أى قطعنا رؤوسهم -، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد بن عاصم المحاربى ، وكان خطيباً مفوهاً إن قال أسمع ، فقال : الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية فى ديننا ، فإن إعطاء الدنية فى الدين ادهان فى أمر الله، عز وجل ، وذلك راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على : أبا لقتل تخوفنا !.. أما والله إنى لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ، ثم لتعلمن أينا أولى بها صلياً ». ثم خرج بقومه هو وأخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهروان ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة[٣] .

وهذا حديث زعيم فرقة حربية متهورة تستهين بالحرب ، وتعده باباً من أبواب المجد فى الدنيا والآخرة ، وردهم على كل إمام من أئمة المسلمين بالنذر والحرب والشقاق ، اعتقاداً منهم أن هذا طريق الجنة، وأن الجميع ضلال وفساق، وليس حق إلا معهم.

---

(١) نصر بن مزاحم : موقعة صفين ، ص٢٩٥ ، ٥٠٢ .

(٢) انظر العقد الفريد ، ص ٢٧١ .

(٣) تاريخ الطبرى ، ٦ / ٤١ .

كما رأس الخوارج ، بعد نزاعهم لعلى بن أبى طالب فى التحكيم ، رجلاً يقال له **حرقوص بن زهير البجلى** ، وعرف بذى الثدية ، وقد كان عدد الخارجين يومئذ إثنى عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام ، وهذا ما يعنى أنهم متشددون تشدداً كبيراً لا يعرفون من الدين إلا وجهه الجهم [١] ، وهو ما يتوافق مع كلام رسول الله ، ﷺ : **«تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم وصوم أحدكم فى جنب صيامهم ، لكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم»** [٢] .

فهم المارقة الذين قال فيهم : **« سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »** [٣] . وهم الذين أولهم ذو الخويصرة ، وآخرهم ذو الثدية .

مبدأ القرشية :

أما كيف بدأ الفكر الخروجى فى التكوين ، فهو مع موقفهم من أحداث صفين، فقد أكلت هذه الحرب أكثر من مائه ألف مقاتل بين صحابى وتابعى ، ففكروا فى ضرورة وضع أساس لاختيار الخليفة ، ولما كان المتحاربين فيها من قريش بدأ التركيز على مبدأ أو مفهوم القرشية ، فجوزوا أن تكون الإمامة فى غير قريش ، وكل من نصبوه برايهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً ، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وابن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله ، وهم أشد الناس قولاً بالقياس ، وجوزوا أن لا يكون فى العالم إمام أصلاً ، وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً أوحراً ، أو نبطياً أو قرشياً .

لقد كانت بواعث هذا المبدأ البحث عن العدل الاجتماعى وإرساء قواعد وأسس للحكم الإسلامى بعيداً عن العصبية القبلية ، فما الذى أشعل الحرب بين معاوية وعلى ، رضى الله عنهما ، وما الذى ألجأ عثمان ، رضى الله عنه إلى مثل تصرفاته فى

---

(١) انظر البدء والتاريخ ، ٥ / ١٣٥ ، والكامل ، ٢ / ١٣٩ .

(٢) أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، والدارمى ،وأحمد .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) الكامل ، ٣ / ٩١٩ .

السنوات الأخيرة من حكمه ، هو عدم وجود أسس للعدل ، ودستور تسير عليه المؤسسة الحاكمة ، ومن ثم لا تضل عن الحق ، فمثلاً من حق الشعب الذى رشح الأمير للحكم عزله ، إن خرج عن مبادئ العدل أو الدستور وأسس الحكم فى الإسلام، كذلك فكرة وجود جهه رقابية أومجلس شورى إسلامى ، تطرح أمامه بصفة مستمرة منهج الأمير فى الحكم وتحاكمه فى تجاوزاته بل يصل الأمر إلى عزله عن طريق طرح الثقة فيه . وعذر التجربة الأولى أنها كانت رائدة ، ولو أنها استمرت لفعلت أكثر مما نشير إليه .

أما ما كان من معاوية الذى لاذ بجند **الشام** وقبيلة كلب أخوال ابنه يزيد الذين ناصروه ، فقد جعلهم يفكرون جداً فى أن يكون الأمير من غير العرب أوحتى عبداً حتى لايستعين بأى قوة تآذره على شعبه . ولولا فردية معاوية وأنانيته ما فكر الخوارج فى الخروج أو ما ظهرت بواعث الفتنة أصلاً .

الشئ الثانى الذى أدى إلى نشأة الخوارج ، هو موقفهم من التحكيم مباشرة إذ إنهم قد اتهموا سيدنا **على بن أبى طالب** بأنه قد أخطأ فى التحكيم ، إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله . وموقفهم هذا غير مفهوم وهو أقرب إلى الفوضى الفكرية ، أو ما يسمى (بالديموجاجية) .. ويحمل كثيراً من الافتراء على الإمام.. فمثلاً قالوا بأنه حكم الرجال ، وهو لم يحكم أحداً بل حملوه على التحكيم ، إذ حمل رجال معاوية المصاحف على السيوف ، وطلبوا التحكيم وأدرك على أن الأمر خدعة فأمر رجاله بالاستمرار فى القتال ، فأنكروا عليه وردوا على مقالته بأنهم يطلبون حكم الله ونقاتلهم، ورأوا أن ذلك أمراً لا يليق .

يزيد على ذلك غموض مقالتهم أن علياً حكم الرجال .. إذ إن الرجال هم الذين يقومون بالتحكيم ولا يعقل أن يكونوا ملائكة مثلاً ، ولذلك قال الإمام على «**كلمة حق أريد بها باطل**» .. وصدق .. ولكنهم لم يكتفوا بهذه المقالة ، بل بنوا عليها حكماً قاسياً هو تكفير الإمام على ، كما كفروا من قبل سيدنا عثمان جميعاً ، وصاروا فى صف والمجتمع بأسره حكام ومحكومين فى صف آخر . وهو يؤكد تهورهم وعدم فهمهم للروح الجديدة التى بثها الإسلام فى العرب وما غير من فكرة الاستعداء والفرق .

ماذا حدث بعد إعلان الخوارج الإمام على بآرائهم ؟.. أعلنوه بالحرب وتلاقت الطائفتان عند **النهروان** وأبدى الخاورج باساً شديداً ، ولكن ما لبث أن هزموا وولوا الأدبار ، ولم يبق من هذه المعركة منهم سوى عشرة رجال تفرقوا فى الأنحاء ، علماء التاريخ يقولون إن ما ظهر من فكر الخوارج فى **عمان وكرمان وسجستان وديار** وضر وبكر بالجزيرة ، بين دجلة والفرات ، وما ظهر **باليمن** من فكر الخوارج ، هو من أثر فرار هؤلاء العشرة فى النهروان !

حقيقة يحتاج فكر الخوارج إلى النظر فى سمات الشخصية ، والتى تتصف بالتعقد الشديد ، فهم ياخذون من الدين اشده ومن الآراء أشدها وأشذها ، ويعيشون فى أدنى الأرض وأقربها إلى الشظف والقسوة ، وجاءوا فى الأصل من البدو حيث الغلظة والتعالى بالالقاب والتنابز والتهور وعدم الحكمة . والجهل بروح الوحدة الجديدة التى جاء بها الإسلام .

ورغم ما يبدو فى جانب من أفكار الخوارج من التقدمية والثورة على الأوضاع السياسية فى القديم ، إلا أن الحقيقة كانت مجمل أفكارهم تجنح وتميل إلى دعم الفكر المتخلف وتثبيت طابع القبيلة والعصبية العربية .. ولذلك يمكن تفسير السبب الذى من أجله أحجم الفرس والعجم والموالى عن المشاركة فى ثوراتهم أو الدخول فى فكرهم .

ولك أن توافقنا إلى حد كبير فيما ذكرناه من صفات الخوارج ، حين تطلع على بعض مشاهد من حياتهم ، فنحن نعلم أن الدين لله ، والعقيدة لله وقد تعبدنا الله بالشريعة ، ولكنك ترى الخوارج تجترأ على الله فتدخل فى العقيدة الربانية التوحيدية ذات الأصول الواضحة آراء الرجال وأفكارهم وتتعبد لله بها وتدين بها !..

كما أن الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه العبودية لله تعالى ، وهو يحب من عبده أن يأتيها خالصة لوجهه دون مَنٍّ أو رياء أو شرك ظاهر أو خفى ، كما أنه يحب أن يأتيها عبده من أيسر وجوهها .. «**الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**» .. «**إن هذا الدين شديد - أى قوى وعزيز - فأوغل فيه برفق**» .. ولكن الخوارج أخذوا فى التبارى فيما بينهم فى إبداء وجوه الزهادة والتقوى والورع ، ويحاكم بعضهم البعض على الهفوات والسقطات ، ويستحل بعضهم دماء غيرهم من أنفسهم - فى سابقة

هى الأولى من نوعها فى الإسلام .. وتشددوا فشدد الله عليهم ، ولذلك نميل إلى القول بأن الخوارج ظاهرة شاذة فى الوسط الإسلامى دينياً واجتماعياً .. وتظهر هذه الظاهرة عندما تتوفر لها أسبابها البيئية والفكرية والاجتماعية ، ومن السهولة واليسر تفسير ظاهرة الجماعات الإسلامية التكفيرية التى أخذت من الدين شكله وتركت موضوعه، وغالت فى ظاهره وتجاوزت معانيه .. وحرموا على الناس كل حلال ، وكفروا كل موحد بالشبه والتهم الباطلة فى زماننا ، عندما نبسط القول فى خوارج الماضى الذين ذهبوا فى أدراج الريح إلا قليلاً منهم بقى شاهداً على من غبر منهم فى أنحاء متفرقة من بلاد الإسلام ولم يبقوا إلا بعد أن هذبوا كثيراً من أفكارهم ، وعادوا إلى أصول الإسلام السمح ومبادئه القويمة .

لقد شدد إبليس على نفسه فشدد الله عليه ، كان يريد أن يكون هو الوحيد موضع الحب والعناية الإلهية وألا يتجاوزو الله بالحب والعطف إلى غيره . لقد جعل كل شئ فى الوجود السماوى يأتى بعده فانتفخت أوداجه ، وانفجرت جوانب نفسه بالكبر والصلف ، فلبس مسوح الزهد على كبر الطاغية .. وراح يبدى التقى على صعار نهم للشهوات والفساد فى الأرض ، **وكل هذه الأمراض تجلت وظهرت فى خوارج الأمس البعيد ، وخوارج الأمس القريب ..**

فالخارجى المكفر لأمته الخائن لوطنه الخارج عن الجماعة النازع ليد الطاعة فى زماننا، يأوى إلى المساجد المتطرفة والخرابات والكهوف فى الجبال ، ويصطنع أوكاراً لنفسه وأمثاله ، من المرضى بحب الذات والأنا ، ثم يبدؤن فى التخطيط لتخريب الوطن ، تحت شعار التكفير والتبديع والتفسيق .. وهذا ما فعله خوارج الزمن الغابر تماماً فوضعوا نهاية أسيفة للدولة الراشادة .

انظر معى أيها القارئ الواعى إلى شخصية خارجية هى شخصية **عبدالله بن وهب الراسبى** عندما هم أصحابه بمبايعته بالإمارة ، فماذا يفعل ليقنعهم بأنه هو الأمير الملهم والمستحق بالأمر دون أهله ودون غيره منهم!.. **«كان يمتنع عليهم تحرجاً ويستقبلهم ويومئ إلى غيره تحرزاً ، فلم يقنعوا إلا به »** !.. إنه شخص شديد الذكاء بالفطرة بين قوم من العربان الأغبياء ، الذين يُدهشهم من الرجال غموضهم واستعلاءهم وتكبرهم.. ولذلك بايعوه!

وهؤلاء القوم لم يكن هدفهم مقاتلة على وصحبه ، بل ضموا إلى ذلك مقاتلة معاوية ومن معه ، وأصحاب الجمل وكل من آمن إيمان هؤلاء .. إنهم قد قرروا الحكم على كل هؤلاء بالكفر الذى يتبعه القتل واستحلال الدماء والاعراض ، ولذلك سموا **محكمة** .. وهم أكثر من أن يكونوا جماعة تخريبية أو طابوراً خامساً ، إنهم يمثلون كتيبة أو طليعة أو فرقة من جنود الشيطان ، أتت فى أثواب الزهد والورع لنشر الخراب والفساد فى الأرض ، وهو ما نشاهده من الجماعات الغالية فى كل مكان ، سواء جاءت باسم عبدة الشيطان فى أثواب التحلل والفساد الأخلاقى ، أو المكفرة من أعداء الدين والوطن جميعاً .

وما أقرب السيف إلى أيديهم ، يقال إن أول من سل سيفاً منهم رجل يسمى **عروة ابن حدير** ، وذلك أنه أقبل على **الأشعث بن قيس** فقال : ما هذه الدنية يا أشعث ؟! وما هذا التحكيم ، أشرط أحدكم أوثق من شرط الله تعالى ؟!..

ثم شهر السيف ، والأشعث مولى ، فضرب به عجز البغلة ، فشبت البغلة فنفرت اليمانية . فلما رأى ذلك الأحنف مشى هو وأصحابه إلى الأشعث فسألوه الصفح ، ففعل . فهل هؤلاء قوم كانوا يعرفون شيئاً عن الدين والسياسة حقاً !

وهكذا يبدو أنهم سريعوا التهور .. يبادرون إلى العنف واستخدام السلاح ، ثم هم سريعوا الاعتذار عن ذلك ، وهذه مجمل صفات الكبر والصلف والتكبر على خلق الله ، وإهدار دمائهم بغير وجه حق ثم التوبة !

وإليك صورة ومشهداً من تلك الصور والمشاهد التى تقعنا بفساد عقول ونفوس هؤلاء الخوارج أصحاب الهوس والنرجسية والشيزفرينيا ، فبعد أن هدأت أحداث الفتنة الكبرى ، وتنازل **الحسن بن على** ، **رضى الله عنه** ، عن الحكم لمعاوية بن أبى سفيان، أتى **عروة بن حدير** سالف الذكر إلى **العراق** زياد بن أبيه ومعه تابعه ومولاه ، فدار بينهما حوار عن العقيدة السياسية التى يراها . على النحو التالى :-

- فسأله عن **أبى بكر وعمر** ، رضى الله عنهما ، فقال فيهما خيراً .

- وسأله عن **عثمان** ، فقال : كنت أوالى عثمان على أحواله فى خلافته ست سنين، ثم تبرأت منه بعد ذلك ، للأحداث التى أحدثها ، وشهد عليه بالكفر !

- وساله عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فقال : كنت أتولاه إلى أن حكم الحكمين ، ثم تبرأت منه بعد ذلك ، وشهد عليه بالكفر .

- وساله عن معاوية فسبه سباً قبيحاً . (لاحظ ان زياد هذا أخو الخليفة وواليه!) .

- ثم ساله عن نفسه .. فقال : أولّكَ لزنية ، وآخرك لدعوة ، وأنت فيما بينهما بعد عاص ربك .. فامر زياد بضرب عنقه، وذلك ان زياد بن أبيه كان يدعى لأمه سمية ، فلما اعترف معاوية باخوته سمى زياد بن أبى سفيان ، وولاة على إمرة العراق[1]. فهذا رجل مختل عقلياً لا يتورع عن شئ ولا يثنيه شئ .

لقد سب هذا الخارجى الجميع إلا قليلاً ، وتبع ذلك بسب الأمير الذى يمثل بين يديه ، فما كان من الأمير إلا ان امر بقتله ، وهى صفات رجل أرعن يرى نفسه افضل من كل الناس حتى الأمير الواقف أمامه ، فما علاقة الدين والآراء السياسية بنسب الرجل أو حياته الاجتماعية .. إلا أن يكن ذلك خبلاً فى عقل هذا الخارجى !

ومع ذلك يصفه مولاه فيقول : «ما أتيته بطعام فى نهار قط ، ولا فرشت له فراشاً بليل قط» [2].. يعنى صائم النهار قائم الليل .. وما نفعته عبادته حيث فسدت عقيدته !.. وهكذا الجهل يؤدى بأصحابه إلى التطرف .

ولقد كانت تصرفات الخوارج على المستوى الجماعى غاية فى الوحشية والقسوة مع المسلمين من أمثالهم .. وهؤلاء القوم ما كانوا يتركون مسلماً حتى يتبينوا هل هو على أفكارهم أم لا - بامتحان الناس واختيارهم -، فإن ثبت على المسلم أنه مع غيرهم مثلوا به وقتلوه شر قتله ، وهذا ما فعلوه مع ابن الصحابى الجليل **خباب بن الأرث** ، رضى الله عنه ، **عبد الله** فقد رأوه وهم فى طريقهم إلى النهروان ، فقالوا له حدثنا حديثاً سمعته من أبيك عن رسول الله، ﷺ ، فقال : سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والواقف فيها خير من السائر ، والماشى فيها خير من العادى ، ومن أمكنه أن يكون مقتولاً فيها فلا يقصدنّ أن يكون قاتلاً**» [3]. أو لفظ هذا معناه ، فلما سمعوا منه هذا الخبر

---

(١) لسان الميزان ، ص ٤٩٣ .

(٢) الملل والنحل ، ١ / ١٣٧ .

(٣) اخرجه البخارى فى صحيحه ، ٤ / ٢٢٥ فى كتاب الفتن ، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، واحمد فى مسنده ، ١ / ١٦٩ ، ١٨٥ .

قصدوا قتله ، وقتله رجل منهم اسمه **مسمع** ، وجرى دمه على وجه الماء قائماً كالشراك ، حتى انهال من إحدى شاطئ النهر إلى الآخر ، ثم قصدوا بابه وقتلوا أولاده وأمهات أولاده بالنهروان [1]، عمل غاية فى القسوة والوحشية وهمجية تحاكى همجية القرون الأولى وقد وجدت بعض الصحفيين الأجانب يستشهد بهذا الموقف على وحشية المسلمين الأوائل !!.. وهذا يشبه إلى حد بعيد ما فعلته جماعات التكفير فى السبعينات ، فى إبان خروج زعيمهم **شكرى مصطفى** ومن معه على المجتمع المصرى ، وبدأوا بقتل الشيخ **حسين الذهبى** وكان من افقه وأعلم وأورع علماء الأزهر وقل أن يجود الزمان بمثله .. أما السبب الذى من أجله قتل فقد كان ساذجاً وواهياً يشبه السبب الذى سفك أباؤهم به دم **عبدالله بن خباب بن الأرت**، رحمه الله ، واستباحوا حريمه وخربوا بيوته!

إنها الرغبة العارمة فى الانتقام من المجتمع ، والتمثيل بأبنائه .. ولذا يبدأون بقتل رموز المجتمع من ساسة وعلماء ، وتجهيز البلاد التى يعيشون فيها لينعق فيها الخراب بدعوى حماية الحقوق وصيانة الأعراض !..

ولذلك قلنا وسنقول إن جماعات التكفير جماعات عميلة للغرب بلا شك ولا ريبة ، وقادة هذه الجماعات يعيشون **بلندن وواشنطن** آمنين ، وصغار الخونة منهم هم الذين يقتلون أولادنا **بالمنيا وأسيوط وسوهاج والأقصر** .. ويرغبون فى تحويل **مصر** العامرة إلى أرض خراب .. بضرب السياحة والاقتصاد وركائز دولة المؤسسات .. ومصر لم تشاهد أو تعرف مثل هذه الكتائب الطليعية التى تتقدم أعداءها عند غزوها، كما شهدت ما فعلته هذه الجماعات فى أواخر السبعينات والثمانينات .. فاغرقوا البلاد بشرائط الكاست السرية ، والسلاح المهرب عن طريق البحر الأحمر (وأغلبه أسلحة جاءت من إسرائيل رأساً) .. حتى كادت وجوه الحياة فى مصر أن تتوقف فى لحظة ما ، بعد مقتل الشهيد **محمد أنور السادات** ، والذى قتل بلا سبب أومبرر غير أنه انتصر على اليهود فى ١٩٧٣م وأعاد للوطن شموخه وكرامته .. ثم وضع الغرب كله فى مازق السلام العادل الذى لا بديل عنه .. ووقف دون ضرب مصر مرة أخرى بلا سبب بأسلحة الأسطول السادس أو غيره ، بحجة حماية أمن إسرائيل ،

---

(١) التبصير فى الدين ، ص ٤٧ .

مما اتاح لمصر فى فترة الثمانينات والتسعينات أن تقوم بالإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الذى بدأنا فى جمع حصاده .. ولولا ذلك لكانا للآن فى طاحونة الحروب التى تستنزفنا أولاً بأول .

وعند سرد وقائع وأحداث ظهور أول جماعة مسلحة تنابذ الأئمة وتقطع الطريق ، نجد أن الحجة لا تكفى فى إقناعهم ، ولا العقل يكفى فى ردهم إلى صوابهم ، ولذلك نقول للذين يزعمون الحوار مع الجماعات المسلحة أنتم واهمون أيها السادة .. لأنهم يحتكمون لغير العقل ، ولا توجد لديهم ثوابت يمكن ردهم إليها ، سوى أنهم همج وذئاب تلبس جسوح الرهبان ولا علاقة لهم بالإسلام وأهله .

طالب سيدنا على ، كرم الله وجهه ، من الخوارج أن يدفعوا إليه قاتل **عبدالله بن خباب بن الأرت** ليقتص منه ، فردوا عليه رداً يدل على إجرامهم ورعايتهم للجريمة : كلنا قتله ، ولو ظفرنا بك لقتلناك أيضاً ؛ ولأن التجربة كانت مستحدثة وجديدة ظن الإمام على أن فى الحوار والجدل منفعة فى رد هؤلاء وردعهم عن مغبة ما يقدمون عليه، فقال لهم : ماذا نقمتم منى حتى فارقتمونى لأجله؟!

- قالوا : قاتلنا بين يديك فى يوم الجمل ، وهزمنا أصحاب الجمل ، فأبحت لنا أموالهم، ولم تبح لنا نساءهم وذراريهم ، وكيف تحل مال قوم وتحرم نساءهم وذراريهم؟!.. وكان ينبغى أن تحرم الأمرين أو تبيحهما لنا .
- فاعتذر على ، رضى الله عنه ، بأنه قال : أما أموالهم أبحتها لكم ، بدلاً عما أغاروا عليه من مال بيت المال ، الذى كان **بالبصرة** قبل أن وصلت إليهم ، ولم يكن لنسائهم وذراريهم ذنب ، فإنهم لم يقاتلونا ، فكان حكمهم حكم المسلمين ، ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان لم يجز سبيهم واسترقاقهم ، وبعد لو أبحت لكم نساءهم من كان منكم يأخذ **عائشة** فى قسمة نفسه ؟!..
- فلما سمعوا هذا الكلام ، خجلوا وقالوا : قد نقمنا منك سبباً آخر ، وهو أنك يوم التحكيم كتبت اسمك فى كتاب الصلح أن أمير المؤمنين **على بن أبى طالب ومعاوية** حكما فلاناً ، فنازعك **معاوية** ، وقال : لو كنا نعلم أنك أمير المؤمنين ما خالفناك ، فمحوت اسمك ، فإن كانت إمامتك حقاً فلمَ رضيت به ؟!
- فاعتذر، أمير المؤمنين ، وقال : إنما فعلت كما فعل النبى، ﷺ، حين صالح **سهيل**

ابن عمرو، وكتب فى كتاب الصلح : «هذا ما صالح محمد رسول الله سهيل بن عمرو . .

- فقال له سهيل : «لو علمنا أنك رسول الله ماخالفناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك» . فأمر النبى ، ﷺ، حتى كتب : «هذا ما صالح محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو .

- فقال لى رسول الله ، ﷺ : «إنك ستبتلى بمثله يوماً» فالذى فعلته بإذنه واقتداء به[1].

- ثم قالت الخوارج له : لمَ قلت للحكمين : إن كنت أهلاً للخلافة فقررانى ، ولم شككت فى خلافتك حتى تكلمت بهذا الكلام؟!.. ولو كنت شاكاً لمَ ادعيت الخلافة؟!..

- فقال على : إنما أردت أن أنصف الخصم ، وأسكن الثائرة ، ولو قلت للحكمين احكما لى لم يرض بذلك معاوية[2] ، وهكذا فعل النبى ، ﷺ ، مع نصارى نجران حين دعاهم إلى المباهلة فقال : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(٦١) ﴾[3] ، وهذا إنما قاله على سبيل الإنصاف لا على سبيل التشكل[4].

وهو كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) ﴾[5] ، ولهذا المعنى حكم النبى ، ﷺ ، سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، والحق والحقيقة كان لرسول الله ، ﷺ[6] .

ثم إن حكم رسول الله ، ﷺ، بالعدل ، وحكمى الذى حكمته خدع فكان من الأمر ما كان .

---

(١) انظر البخارى وابو داود ، وطبقات ابن سعد جـ ٨ / ٦ ، واحمد ٤ /٣٢٥ و ٣٣١ ، وابن هشام ، ص ٧٥١ و٨٠٢ ، والواقدى ، ص ٦١٢ .

(٢) انظر كتابنا إبليس بين الحقيقة والوهم ، ص ٣٥٢ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٦١ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد : جـ ١ ، ق ٢ ص ٣٥ .

(٥) سورة سبأ : الآية ٢٤ .

(٦) انظر البخارى ومسلم والدارمى وابن سعد جـ ٢ ق ١ ص ٥٤ ، ٥٦ ، وابن هشام ص ٦٨٨ والواقدى ص ٢١٥ .

وقد كان لحوار الإمام على مع الخوارج نتائج باهرة ، مع طائفة عريضة من الشباب والشيوخ والنساء الذين لم تكن عقولهم قد التاثت وتلوثت بسموم القيادات منهم، فاستأمنوا لأنفسهم وعادوا مع الإمام ، وكانوا يقدرون بثمانية آلاف ، ولكن بقى على عهده بهذا الفكر ثابتاً ما يقدر بأربعة آلاف .

ثم كانت معركة النهروان ، والتقى السيفان المسلمان ، أحدهما باغ ظالم جائر لاينثنى لحجة عقل وبرهان ، ولا يرهب الموت فى ساحات الحرب ، معتقداً الحق فيما يأتى من بغى وعدوان .. وكما ذكرنا من قبل لم ينج من هذه المعركة من الخوارج الأوائل سوى عشرة أنفس ، تفرقوا فى طول البلاد وعرضها ، ليبثوا أفكارهم المسمومة بين المسلمين وليحيوا ذكرى انشقاقهم على الجماعة الإسلامية الكبرى ، وليمتد وجودهم فى التاريخ الإسلامى .

ويذكر العلماء أن علياً أمرأصحابه بتعقب رجل من هؤلاء العشرة ، كان قد ذكر النبى ، ﷺ ، أوصافه بالتفصيل لأصحابه ، وكان قد وقعت منه سابقة مع رسول الله، ﷺ ، أبدت عن سوء قصده بالإسلام وأهله ، وهو ذو الثدية ، فقد مر على النبى، ﷺ ، وهو يقسم غنائم بدر ، فقال له : اعدل يا محمد . فقال له ، عليه الصلاة والسلام: «خبت وخسرت إذاً من يعدل ؟!!.. ثم قال : «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[1] .

وبالفعل ظفر به أصحاب على ، وتفحصوا أمره فوجدوا له ثدياً كثدى النساء ، مما يشير إلى أنه كان مخنثاً ، فأمر به فقتل ، وصدق ، ﷺ .

***

وكفر العلماء هؤلاء بأمرين ، هما تكفيرهم على وعثمان ، وتكفيرهم فساق أهل الملة[2] ..

يذكر البغدادى فى كتابه «الفرق بين الفرق» بأن الأمر لم ينته عند حدود

---

(١) أخرجه البخارى ، ٤/٢٨٣ - كتاب التوحيد : باب وكان عرشه على الماء ، ومسلم : كتاب الزكاة ، وابو داود : كتاب السنه ، والنسائى : كتاب الزكاة .

(٢) التبصير فى الدين ، ص٤٦ - ٤٩ .

النهروان ، والمحكمة الأولى ، وإنما خرج على مبادئهم آخرون ، حملوا نفس **هذا الفكر** الشاذ فقال : « ثم خرج على علىّ بعد ذلك من الخوارج ، جماعة كانوا على رأى المحكمة الأولى ، منهم **أشرس بن عوف** ، وخرج عليه **بالأنبار** ، **وغفلة التيمي** من **تيم عدى**، خرج عليه **بما سندان** ، **والأشهب بن بشر العرنى** ، خرج عليه **بجرايا** ، **وسعد بن قفل** ، خرج **بالمدائن** ، **وأبو مريم السعدى** ، خرج عليه فى سواد **الكوفة** ، فاخرج علىّ إلى كل واحد جيشاً مع قائد حتى قتلوا أولئك الخوارج ، ثم قتل على، رضى الله عنه، فى تلك السنة فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

وهكذا وقع الفارس عن صهوة جواده ، بعد أن أسكت السنة الفتنة ، **سقط شهيداً** وهو يؤم الناس فى صلاة الفجر على يد أحد أعداء الله ورسوله ، **عبد الرحمن بن ملجم المرادى**، بعد أن طعنه بسيف مسموم[1].

يبقى أن نودع هنا ثبتاً بمن خرج على نهج المحكمة الأولى بعد **على** ، وفى زمن **معاوية** حتى ظهور فتنة **الأزارقة** بعد ذلك .

١ – **عبد الله بن جوش الطائي** ، خرج على معاوية بالنخيلة من سواد **الكوفة** ، فاخرج معاوية إليه أهل الكوفة ، حتى قتلوا أولئك الخوارج .

٢ – ثم خرج عليه حوثرة بن وداع الأسدى ، وكان من المستأمنين إلى على يوم **النهروان** ، فى سنه إحدى وأربعين .

٣ – ثم خرج **قرة بن نوفل الأشجعى** ، **والمستورد بن علقمة التميمى** ، على **المغيرة بن شعبة** ، وهو يومئذ أمير **الكوفة** من قبل معاوية ، فقتلا فى حربه .

٤ – ثم خرج **معاذ بن جرير** على المغيرة ، فقتل فى حربه .

٥ – ثم خرج **زياد بن خراش العجلى** ، على زياد بن ابيه ، فقتل فى حربه .

٦ – وخرج **قريب بن مرة على ابن عبد الله بن زياد** ، وخرج عليه أيضاً **زحاف بن زحر الطائى** ، واستعرضا الناس فى الطريق بالسيف ، فاخرج ابن زياد إليهما **بعباد بن الحصين الحبطى** فى جيش ، فقتلوا أولئك الخوارج .

---

(١) العبر ، ١/٤٦ – ومشاهير الأمصار رقم ٥ ، والمعارف فى مواضع كثيرة تراجع فى ترجمته .

فهؤلاء هم الخوارج الذين عاونوا على المحكمة الأولى قبل فتنة الأزارقة».[1]

وما سبق أشبه برجال العصابات أو المغيرين على الدولة من أجل السلب والنهب والاغتصاب ، وأشبه بالمغامرين والقراصنة ، وما أشبه هؤلاء بأبائهم من أهل الجاهلية . فما علاقة هذا بالإسلام؟!..

***

(١) الفرق بين الفرق ، ص ٨١ ، ٨٢ .

٢ - الأزارقـــة

وهم أتباع رجل منهم يقال له **أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفى** ، ولم يكن للخوارج قوم أكثرمنهم عدداً ، وأشد منهم شوكة ، ولهم مقالات فارقوا بها المحكمة الأولى ، وسائر الخوارج منها ما يلى :-

- يقولون إن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك .
- والمحكمة يقولون إن مخالفهم كافر ولا يسمونه مشركاً .
- كما أنهم انفردوا بالقول على من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركاً ، وإن كان موافقاً لهم فى المذاهب .
- كانوا يضعون امتحاناً للمهاجر إليهم بأن يسلموا إليه أسيراً من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويامروه بقتله . وزعموا أن أطفال مخالفيهم مشركون . . كما زعموا أنهم يخلدون فى النار [١] .

أما عن أول من أسس لهذه البدع أو المبادئ الإجرامية التى زادت وطمث على فكر المحكمة الأولى ، هو رجل يقال له **عبد ربه الكبير أو الصغير** ، وقيل **عبد الله بن الوضين** . . والغريب أن **نافعاً بن الأزرق** خالف هذه المبادئ فى حياة الرجل، فلما مات قبلها !

وللأزارقة مجموعة مبادئ أجمعوا عليها ، ومثلت أساس مذهبهم فى التكفير والحرب هى على النحو التالى :-

١ - ديار مخالفيهم ديار الكفر .

٢ - قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم مباح .

٣ - عدم وجوب رد الأمانات بنص الكتاب ، وزعموا أن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ [٢] .

---

(١) التبصير ١٤٩ ، ٥٠ .

(٢) سورة النساء : آية ٥٨ .

٤ – خالفوا إجماع المسلمين برجم الزانى المحصن ، وزعموا عدم وجوبه .

٥ – أسقطوا الحد عن القاذف المحصن .

٦ – أوجبوا الحد على من قذف امرأة محصنة .

٧ – أوجبوا القطع فى السارق دون النصاب المعروف [١] .

أماعن البلاد التى غلب عليها الأزارقة فهى **الأهواز وأرض فارس وكرمان** .. ولهم حروب كثيرة بدأت فى زمن **عبد الله بن الزبير** والذى كسروا له جيشين ، فبعث لهم بالمهلب بن أبى صفرة ، فظفر بهم وقتل **نافع بن الأزرق** فولوا **قطرى بن الفجاءة** ، والذى أطلقوا عليه لقب أمير الموت !

وما زال المهلب يقاتلهم هو وأبناؤه ، حتى زمن **عبد الملك بن مروان** .. ومن غرائبهم أن فروا إلى **بلاد سابور بفارس** ، وجعلوها أرض هجرتهم !

وتعاقبت الحملات العسكرية التى جردها **الحجاج بن يوسف** الثقفى ، هو **والمهلب بن أبى صفرة** على جيوش الأزارقة فى **كرمان والرى وطبرستان** ، حتى قتل قائدهم **قطرى بن الفجاءة** ومن معه ، ولم يقم لهذه الفرقة المنازعة بقية إلى يومنا هذا [٢] .

وذكر الأشعرى بواعث وبوادر ما أظهره **نافع بن الأزرق** من خلاف فقال : كان سبب الخلاف الذى أحدثه « نافع » أن امرأة من أهل اليمن عربية ترى رأى الخوارج تزوجت رجلا من الموالى على رأيها ، فقال لها أهل بيتها : فضحتنا ، فأنكرت ذلك ، فلما أتى زوجها قالت له : إن أهل بيتى وبنى عمى قد بلغهم أمرى وقد عيَّرونى ، وأنا خائفة أن أكره على تزويج بعضهم ، فاختر منى إحدى ثلاث خصال :

١– إما أن تهاجر إلى عسكر نافع ، حتى تكون مع المسلمين فى حوزهم ودارهم .

٢– وإما أن تخبانى حيث شئت .

٣– وإما أن تخلّى سبيلى .

فخلّى سبيلها ، ثم إن أهل بيتها استكرهوها فزوجوها ابن عم لها ، لم يكن على

---

(١) التبصير ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) السابق .

رأيها ، فكتب ممن بحضرتها بأمرها إلى نافع بن الأزرق يسألونه عن ذلك ، فقال رجل منهم : إنها لم يسعها ما صنعت ولا وسع زوجها ما صنع ، من قبل هجرتها ؛ لأنه كان ينبغى لهما أن يلحقا بنا ؛ لأنا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة ، ولا يسع أحد من المسلمين التخلف عنا كما لم يسع التخلف عنهم .

فتابعه على قوله ذلك نافع بن الأزرق وأهل عسكره ، إلا نفراً يسيراً ، وبرئوا من أهل التقية ، وأحدثوا أشياء ذكرناها من قبل [1] .

لقد مثل الأزراقة الاتجاه الغالى فى تطرفه ، حتى حكموا بان كل مخالفيهم كفار ، واستباحوا قتلهم وقتل نسائهم وأطفالهم أيضاً ، وقالوا بتخليد أطفال المشركين فى النار ، وقالوا بكفر من قصد عن نصرتهم من الخوارج ، وربما أنكروا بعض الأحاديث والأحكام كرجم الزناة مثلاً .. وقد أنشأوا دولة زالت بعد حين ، ثم انقرضت الفرقة كلها فيما بعد [2] .

إذا أردنا حقاً تفسيراً مقنعاً لما كان يحدث للدولة الإسلامية على يد هذه الفرقة الحربية المنشقة ، التى تمثلت أجلى وأوضح أهدافها فى تفجير المجتمع الإسلامى من الداخل بفكرة أو لعبة زكية هى تحويل السياسة والفقه إلى عقيدة ، واستغلال قاعدة التكفير والتفسيق أو قضية الأسماء والأحكام أسوأ استغلال ، لتكفير المجتمع وهدمه والقضاء عليه .. ينبغى علينا بصدق ألا نلتمس لهذه الفرقة الشاذ المكفرة أى عذر ، فقد كانت أقل من أن تصدر عن بناء فكرى أو مذهب متكامل .

* * *

(١) المقالات ، ١ / ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) الشافعى د/ حسن عبد اللطيف : المدخل إلى دراسة علم الكلام ، ص ٦٢ .

٣ - النجـــدات

اتباع **نجدة بن عامر الحنفى** وكان السبب فى رئاسته وزعامته أن **نافع بن الأزرق** لما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين ، واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم ، وفارقه **أبو فديك** ، **وعطية الحنفى** ، **وراشد الطويل** ، **ومقلاص**، **وأيوب الأزرق** ، وجماعة من أتباعهم ، وذهبوا إلى **اليمامة** فاستقبلهم **نجدة بن عامر** فى جند من الخوارج يريدون اللحوق بعسكر نافع ، فاخبروهم بأحداث نافع، وردوهم إلى اليمامة ، وبايعوا بها نجدة بن عامر ، وأكفروا من قال بإكفار **القعدة** منهم عن الهجرة إليهم ، وأكفروا من قال بإمامة نافع ، وأقاموا على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه فى أمور نقموها منه ، فلما اختلفوا عليه صاروا ثلاث فرق :

١ – فرقة صارت مع **عطية بن الأسود** الحنفى إلى **سجستان** ، وتبعهم خوارج سجستان، ولهذا قيل لخوارج سجستان فى ذلك الوقت «**عطوية**».

٢ – وفرقة صارت مع **أبى فديك** حرباً على نجدة ، وهم الذين قتلوا نجدة .

٣ – وفرقة عذروا نجدة فى أحداثه وأقاموا على إمامته .

المآخذ التى أخذها الخوارج على نجدة :

١ – بعث جيشاً فى غزو البر ، وجيشاً فى غزو البحر ، ففضل الذين بعثهم فى البر على الذين بعثهم فى البحر فى الرزق والعطاء .

٢ – أنه بعث جيشاً فأغاروا على **مدينة** الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وأصابوا منها جارية من بنات **عثمان بن عفان** ، فكتب إليه **عبد الملك** فى شانها فاشتراها من الذى كانت فى يديه وردَّها إلى **عبد الملك بن مروان** ، فقالوا له : إنك رددت جارية لنا على عدونا .

٣– عذر أهل الخطأ فى الاجتهاد بالجهالات ، وكان السبب فى ذلك أنه بعث ابنه **المفرج** مع جند من عسكره إلى **القطيف** ، فأغاروا عليها ، وسبوا منها النساء والذرية ، ونكحوهن قبل إخراج الخمس من الغنيمة ، وقالوا : إن دخلت النساء فى قسمنا فهو مرادنا ، وإن زادت قيمهن على نصيبنا من الغنيمة غرمنا الزيادة

من أموالنا ، فلما رجعوا إلى نجدة سألوه عما فعلوا من وطء النساء ، ومن أكل طعام الغنيمة قبل إخراج الخمس منها ، وقبل قسمة أربعة أخماسها بين الغانمين، فقال لهم : لم يكن لكم ذلك ، فقالوا : لم نعلم أن ذلك لا يحل لنا ، فعذرهم بالجهالة ، ثم قال : إن الدين أمران :-

١ - **أحدهما** : معرفة الله تعالى ، ومعرفة رسله ، وتحريم دماء المسلمين ، وتحريم غصب أموال المسلمين ، والإقرار بماجاء من عند الله تعالى جملة ، فهذا واجب معرفته على كل مكلف ، وماسواه فالناس معذورون بجهالته ، حتى يقيم الحجة فى الحلال والحرام ، فمن استحلَّ باجتهاده شيئاً محرماً فهو معذور ومن خاف العذاب على المجتهد المخطئ قبل قيام الحجة عليه فهو كافر .

وكان لنجدة آراء انفرد بها عن الخوارج ، وأدت إلى عواقب وخيمة منها ، ظهور بوادر انفصالية عن جماعته ، ونزاعات كثيرة نشير إليها .

أما آراؤه التى انفرد بها فهى على النحو التالى :-

١ - تولى نجدة أصحاب الحدود من موافقيه ، وقال : لعل الله يعذبهم بذنوبهم فى غير نارجهنم . ثم يدخلهم الجنة ، وزعم أن النار يدخلها من خالفه فى دينه .

٢ - كما أسقط حدَّ الخمر .

٣ - حكم بالشرك على من نظر نظرة صغيرة ، أوكذب كذبة صغيرة وأصرَّ عليها ، أما من زنى وسرق ، وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم ، إذا كان من موافقيه على دينه!

وهذه الآراء ليست مخالفة لحكم الشرع ، **وأهل السنة والجماعة** فقط .. بل هى مخالفة لآراء الخوارج أنفسهم من أتباعه .. ولذلك كان لها آثار وعواقب سيئة على النجدات حيث انقسموا إلى فريقين ، فريق يوافقه وفريق ينكر عليه ، وهم الأكثرون ولذلك غضبوه على الاستتابه فقالوا له : اخرج إلى المسجد وتب من أحداثك ، ففعل ذلك .

ولكن من قام باستتابته ندم بعضهم على ذلك ، وانضموا إلى العاذرين له ، وقالوا

له : أنت الإمام ولك الاجتهاد ، ولم يكن لنا أن نستتيبك ، فتب من توبتك ، واستتب الذين استتابوك وإلا نابذناك ، ففعل ذلك .

وهكذا نجد قوماً إن لم يجدوا ما يحاربونه حاربوا أنفسهم ومزقوا أواصرهم .

أعقب هذه الأحداث خلع الخوارج **لنجدة** ، وتعيين أبى **فديك**، ولكن هذا الأخير خشى من جنود نجدة ، عند عودتهم من غزاتهم فى **الشام واليمن** ، فبحث عنه وأغرى من يرشد عنه بالجوائز العديدة فأرشدت عليه أمة ، فأرسل تجريدة بقيادة راشد الطويل فكبسوه وقتله ووضعوا رأسه بين يدى **أبى فديك** .

وبعد ، فهل هذه تصرفات أصحاب فكر دينى وسياسى ، وقوم كانوا يرغبون فى إقامة دولة ، أم هى تصرفات قطاع الطرق المنشقين على الدولة رغبة فى السطو والغزو والقرصنة ؟!

صفحة من الدماء قد انتشرت فى وجه الإسلام عند فجره ، فلوثته وعملت على تمزيق شمله .. ولو بحثنا وراء هؤلاء لوجدناهم أبناء عربان الأمس الذين حذر الله منهم رسوله فقال له : ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا** .. الآية ﴾ [1] وأبناء من ارتد صبيحة وفاة رسول الله وارتفاع روحه إلى بارئها .

وهكذا انقسم النجدات بين عاذر لنجدة ومتوقف فيه ومكفر له .. وانتهى الأمر بهم جميعاً إلى الفناء ، لأنهم لم يكونوا أصحاب هدف ولا قيم ورغبة فى بناء مدنية قائمة على حضارة الإسلام ، وإنما أصحاب جعجعة وعصبية قائمة على جهالات وحماقات العربان .

***

---

(١) سورة التوبة : الآية ٩٧ .

٤ - الصفريـــة

أتباع **زياد بن الأصفر** [١] .. سماهم **الشهرستانى الصفرية الزيادية** لذلك [٢] ، خالفوا **الأزارقة والنجدات** فى أمور ووافقوهم فى أمور :

١ - وقولهم فى مجمله كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون .. غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم ، والأزارقة يرون ذلك .

٢ - وللصفرية آراء متباينة من قضية الأسماء والأحكام ، فزعم بعضهم أن صاحب الذنب يسمى بذنبه فالزانى زان ، والسارق سارق ، والقاذف قاذف ، وكذلك قاتل العمد يسمى قاتلاً ، ولا ينبغى تسمية المذنب بغير الاسم الموضوع لذنبه، كما أسقطوا الحدود إلا عن تارك الصلاة والصوم ، فاعتبروه كافراً ، ويفقد المؤمن اسم الإيمان فى الوجهين جميعاً .

٣ - وافق بعض **الصفرية البيهسية** فى كون صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر، حتى يرفع إلى الوالى فيحده ..

وهذا يعنى أنه إن هرب فليس بكافر عندهم ..

وتولت الصفرية المحكمة الأولى .

ويجمع الخوارج جميعاً معاداة أولياء الأمور ومنازعتهم وقتالهم ، بالاضافة إلى قتال بعضهم بعضاً .. وقد تولى بعض الخوارج من الصفرية الحكومة المركزية فى زمن **يزيد ابن معاوية** ، فخرج لقتالهم فرقة على رأسها **أبو بلال مرداس** ، فلما التقى الفريقان اعتذر **زرعة بن مسلم العامرى** وكان قد تولى **عبيد الله بن زياد** عامل يزيد على **البصرة**، فقد كان زياد يهددهم بإسقاط عطائهم من بيت مال المسلمين ..

- قال له أبو بلال : وددت لو كنت قبلت فيكم قول أخى **عروة** ، فإنه أشار على بالاستعراض لكم كما استعرض **قريب وزفاف** الناس فى طرقهم بالسيف ، ولكنى خالفتهما وخالفت أخى .

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٦٩ .

(٢) الملل والنحل ، ١ / ١٥٩ .

ودارت المعركة وحمل أبو بلال على زرعة ومن معه فهزموهم . وجاء الدور على المنتصر بعد ان تناطح الثوران فبعث عبيد الله بن زياد بتجريدة قادها عباد بن أخضر التميمي ، فقتل أبا بلال وأتباعه .. وأسر عروة بن مرداس .. فلما قابله زياد قال له : أشرت على أخيك مرداس بالاستعراض للناس فقد انتقم الله للناس منك ومن أخيك ، ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه ، وصلبه [1] .

وإذا تسائلنا عن أبرز ملامح هذه الفرقة من الخوارج نجده التكفير والقتل ، ولا زيادة على ذلك .. انظر عما ينقله عنهم الشهرستاني من جهالات : « يحكى عنه – أى عن زياد بن الأصفر – أنه قال : نحن مؤمنون عند أنفسنا ، ولا ندرى لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله ! .. وقال : الشرك شركان : شرك هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان. والكفر كفران : كفر بإنكار النعمة ، وكفر بإنكار الربوبية ، والبراءة براءتان ؛ براءة من أهل الحدود سُنَّة ، وبراءة من أهل الجحود فريضة » [2] .

كان العرب يغيرون على الجوار فى الجاهلية فيقتلون وينهبون ويستحلون المحارم وتلك سنتهم ، فإن لم يجدوا من يغيرون عليه أغاروا على بعضهم البعض ! .. إنها لوثة الدماء والاعتداء ، وصرعة القتل والسلب والنهب لبسها هؤلاء الاقوام ، وتوشحوا ببعض كلمات منزوعة من الشريعة انتزاعاً ، لتغطى على افترائهم وإفكهم ، وورثوا من أجدادهم الجاهلين كل جهالة .. ونحن فى عصرنا نجد أبناءهم يفعلون فعلهم ويسيرون على دربهم ، فهل من ناصح أمين لهم!

***

(١) الفرق بين الفرق ، ٩١ ، ٩٢ .

(٢) الملل والنحل ، ١٥٩ ، ١٦٠ .

٥ - العجاردة (١)

العجاردة كلها أتباع **عبد الكريم بن عجرد** ، وكان عبد الكريم من أتباع **عطية بن الأسود الحنفي** ، وكانت العجاردة مفترقة عشر فرق يجمعها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام أو يصفه هو .

وفارقوا **الأزارقة** في شئ آخر ، وهو أن الأزارقة استحلت أموال مخالفيهم بكل حال، والعجاردة لا يرون أموال مخالفيهم فيئاً إلا بعد قتل صاحبه ، فكانت العجاردة على هذه الجملة إلى أن افترقت فرقها :ـ

أ - الخازمية من العجاردة (٢)

وهم أكثر عجاردة **سجستان** ، وقد قالوا في باب القدر ، والاستطاعة والمشيئة بقول **أهل السنة** : أن لا خالق إلا الله ، ولا يكون إلا ما شاء الله ، وأن الاستطاعة مع الفعل ، وأكفروا **الميمونية** الذين قالوا في باب القدر والاستطاعة بقول **القدرية المعتزلة** عن الحق(١).

أى أن الميمونية تقول بأن الله عز وجل لا يخلق فعل بني آدم وحركاتهم واختيارتهم، وأنها مخلوقة لهم بإرادة الله حتى يتيسر لهم تمام الفعل بلا قسر أو قهر أو جبر .

كما أنهم يقولون بأن الاستطاعة قبل الفعل ؛ لأنها القوة التي يختار بها العبد أن يفعل أولا يفعل ، ولا معنى لها مع الفعل .. العجردة الخازمية أكفروا هؤلاء !

نأتي بعد ذلك نجد هؤلاء الخازمية يخالفون أكثر الخوارج في الولاية والعداوة ، أو الولاء والبراء ، وقالوا : إنهما صفتان لله ، تعالى ، وأن الله ، عز وجل ، إنما يتولى العبد على ما هو صائر إليه من الإيمان ،وإن كان أكثر عمره كافراً ، ويرى منه ما يصير إليه من الكفر في آخر عمره ، وإن كان في أكثر عمره مؤمناً .. وأن الله تعالى لم يزل محباً لأوليائه ومبغضاً لأعدائه .. وهذه مقالة خالصة في باب الجبر والافتراء على الله ، بأن

---

(١) الفرق بين الفرق ؛ ص ٩٤ .

(٢) الملل والنحل ، ١ / ١٥١ ـ التعريفات ، ص ٥٠ .

أفعال عباده التى هى اختيار لهم ، هى لله حقيقة ولهم مجازاً .. وأن لله عباداً خلقهم يوم أن خلقهم للجنة وآخرين للنار ، وأن الخلق شقى وسعيد بمعنى أن الأمر آنف ، ولا معنى لاجتهاد الإنسان باختيار الإيمان وعمل الطاعات التى جعلها الله مقياساً ومعياراً للنجاة والجنة !

ولأن **الأشاعرة** فى التحليل الأخير ، وبعد لف ودوران من علمائهم ، هم **مجبرة** فى النهاية ، يقول **البغدادى** ، وهو من رؤس شيوخهم ، راضياً عن الخازمية من العجاردة ومادحاً حالهم : وهذا القول منهم موافق لقول **أهل السنة** فى الموافاة ، غير أن أهل السنة ألزموا الخازمية على قولها بالموافاة أن يكون **على** ، **وطلحة** ، **والزبير** ، **وعثمان** من أهل الجنة ؛لأنهم من أهل **بيعة الرضوان** الذين قال الله فيهم : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾(١) .

وقال لهم : إذا كان الرضا من الله ، تعالى ، عن العبد إنما يكون عن علم أنه يموت على الإيمان ، وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة ، وكان على وطلحة والزبير منهم ، وكان عثمان يومئذ أسيراً فبايع له النبى ، عليه السلام، وجعل يده بدلاً عن يده ، وصح بهذا بطلان من أكفر هؤلاء الأربعة (٢) .

***

ب- الشعيبية (٣)

أصحاب **شعيب بن محمد** ، وكان مع ميمون من جملة العجاردة ؛ إلا أنه برئ منه حين أظهر القول بالقدر. فهم فى أبواب القدر كالخازمية . وهذا يعنى أنهما مجبرة.

يذكر **البغدادى** أن الشعيبية ظهرت حين نازع زعيمهم المعروف بشعيب، رجلاً من الخوارج اسمه ميمون ، وكان السبب فى ذلك أنه كان لميمون على شعيب مال ، فتقاضاه ، فقال له شعيب : أعطيكه إن شاء الله .

– فقال له ميمون : قد شاء الله ذلك الساعة .

– فقال **شعيب** : لوكان قد شاء ذلك لم أستطع أن لا أعطيكه.

---

(١) سورة الفتح : الآية ١٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ؛ ص ٨٥ .

(٣) التبصير فى الدين ؛ ص٣٢ ، المقالات ، ١ / ١٦٥ .

- فقال **ميمون** : قد أمرك الله بذلك ، وكل ما أمر به فقد شاءه ، وما لم يشأ لم يامر به .

فافترقت العجاردة عند ذلك ، فتبع قوم **شعيباً** ، وتبع آخرون **ميموناً** ، وكتبوا فى ذلك إلى **عبد الكريم بن عجرد** - وهو يومئذ فى حبس السلطان - فكتب فى جوابهم : إنما نقول : «ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن» .. ولا نلحق بالله سوءاً ؛ فوصل الجواب إليهم بعد موت **ابن عجرد** ، وادعى ميمون انه قال بقوله ، لأنه قال : لا نلحق بالله سوءاً .

وقال **شعيب** : بل قال بقولى ؛ لأنه قال : «ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن» .. ومالت الخازمية وأكثر العجاردة إلى شعيب ، ومالت الحمزية مع القدرية إلى ميمون . ويبدو جلياً أن متاخرى الخوارج يبنوا الفكر الإسلامى السائد فى الساحة الإسلامية فى ذلك الوقت والذى ناقش فى أبواب العدل هل الإنسان مسير أم مخير وأفترقوا ، كما افترقت الطوائف الأخرى .

***

جـ- الخلفية [1]

هم أتباع **خلف** الذى قاتل **حمزة الخارجى** ، والخلفية لا يرون القتال إلا مع إمام منهم، وصارت الخلفية إلى قول **الأزارقة** فى شئ واحد ، وهو دعواهم ان اطفال مخالفيهم فى النار ..

وأنا لا أدرى ما الذى استهوى فريق من عقلاء الخوارج إلى هذه المقالة السيئة، إلا سنة الغلو التى استنوها ، فهل ضاقت قضية الأحكام إلى البحث فى اطفال مخالفيهم؟! واين وجدوا هذا الحكم فى كتاب الله إن كانوا صادقين ؟!..

ولم يذكر **البغدادى** السبب الذى قاتل من اجله أصحاب خلف الخارجى حمزة واصحابه ، كما أنه لم يذكر الأرض التى خرج فيها .

يذكر **المقريزى** ان **حمزة بن أدرك** كان زمن ظهوره فى ايام **هارون الرشيد** مما يعنى ان **خلفاً** هذا قد ابدى نزاعه للخوارج فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى وفى

---

(١) الملل والنحل ، ١ / ١٥٠ - الفرق بين الفرق ، ص ٩٦ - الاعتقادات ، ص ٤٨ .

دولة بنى العباس ، وهم من خوارج كرمان ومكران وهذه الأرض خرج منها كل بدعة وجاءت منها كل فرقة وحرب على الإسلام وأهله .

يذكر الشهرستانى أنهم سلكوا فى القدر مسلك أهل السنة، أى أنهم كانوا جبرية على طريقة الأشاعرة ، وخالفوا الحمزية وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله ، تعالى؛ وهو يقصد أفعال الإنسان من إيمان وكفر وخير وشر وتقى وفسق ، ولا يقصد قدر الله الكونى من خير يتمثل فى خلق الشمس والقمر والليل والنهار والبحار والأنهار... إلخ ولاما هو شر، فى زعمنا، لعدم إدراكنا وجوه النفع فيه، كالفيضانات والزلازل والبراكين والآفات والأمراض، فهؤلاء يقولون أن الله يخلق إيمان المؤمن وكفر الكافر!!.. إنظر كيف ضافت وجوه البحث حتى انتهت بهم إلى البحث فى هل يخلق الله اختيارنا أم لا ؟.. فإن كان يخلقه فهو بذلك إله احد له مطلق المشيئة والتصرف فى الكون.. وإن كان اختيارنا من خير وشر، وإيمان وكفر، وطاعة ومعصية، هى من أنفسنا بقدرة سبق أن أودعها فينا، كان ذلك يعنى عجز الألهية والإلحاد فى قدرة الله!!

والإلحاد ما قالوا وافتروا على الله كذباً ، حيث أعذروا كل حاكم قاتل ، وكل فاسق زان ، وكل امرأة عاهرة ، وحملوا أفعالهم على ربهم.. وتعالى ربنا حيث لا يقول إلا الحق والصدق ، ولا يأمر إلا بكل معروف ولاينهى إلا عن كل منكر، ولكنهم قوم لا يعلمون . قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ .. الآية ﴾ (١).

المهم هم بذلك سلكوا مسلك أهل السنة !!

أما الحمزية فقد ناقضوا فقالوا : لو عذب الله العباد على أفعال قدَّرها عليهم ، أو على ما لم يفعلوه كان ظالماً ، وقضوا بأن أطفال المشركين فى النار ، ولا عمل لهم ، ولاترك ، وهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض وصدق الشهرستانى .. فقد تناقض هؤلاء الحمزية وقد مسهم بعض حماقات أصولهم من الخوارج .. وهكذا نجد حقاً مشوباً بباطل وتخبط فى ظلمات بعضها فوق بعض.

***

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ ،

ء- الحمزيــة (١)

هؤلاء اتبــاع حـمـزة بن أدرك الشـامى .. ويقـول البـغـداى: ابن أدرك .. عاش فى سجستان وخراسان ومكران وقهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ، وكان فى الأصل من العجاردة الخازمية .

ولكنه خالفهم فى باب القدر والاستطاعة ، فقال فيهما بقول القدرية ، فاكفرته الخازمية فى ذلك .. وهكذا يكفر بعضهم بعضاً حيث لا ضرورة وحيث لا يكون كفراً ولا غيره ..

وكما اكفره من هم على مذهب أهل السنة !.. اكفره القدرية فى مقالته بان أطفال المشركين فى النار.. وهو يقصد بالمشركين مخالفين من اهل الملة بالإضافة إلى غيرهم !

وله مذهب عجب فى موالاة القعدة من الخوارج ، فقد اكفرهم بقعودهم عن القتال؛ وزاد فاتهمهم بالشرك ..

أما فلسفته فى لقاء أعدائه من أهل الإسلام فهو قاتلهم ، فإذا هزمهم امر بإحراق أموالهم وعقر دوابهم ، وكان يقتل الأسراء من مخالفيهم !.. فمن أين جاء هذا الحمزة بهذه التشريعات الحربية .. هل وجدها فى كتاب الله ام هو ينهج فيها منهج رسول الله، ﷺ ، وصاحبيه؟!..

وإذاكان هذا فعله بمخالفيه من اهل القبلة على هذه الآراء الغبية التى اثترعها هو وغيره من الخوارج.. فماذا سيفعل عند مقابلة غير المسلمين من المجوس والنصارى واليهود .. لقد اتبعث الخوارج إبليس فبذروا بذور الشر والفساد فى الأرض.. ولوثوا وجه الإسلام وثوبه الناصع بالباطل والدماء ، ووشحوه بالسواد.. وهذاما رأيناه قريباً منه على يد بعض الجماعات المتنازعة المخبولة فى أفغانستان أو جنوب مصر .. وكان وحدة الإسلام والمسلمين ينقصها تمزقاً افعالهم الشاذة، ولله فى خلقه شؤن ولكن اكثر الأغبياء لا يعلمون!

أما عن زمن فتنة الحمزية فقد طالت من زمن الرشيد ٢٧٩هـ حتى صدر خلافة

(١) الفرق بين الفرق ، ص٩٨ – المقالات ، ١ / ١٦٠ ، الملل ، ١ / ١٥٠ .

المأمون ، ولما استطال فى البلاد عين له القضاة واصطحب الشعراء ، واتجه لمقاتلة البيهسية من الخوارج ، وكذلك وجه السريا المقاتلة الخازمية ، فنال منهم وقتل منهم الآلاف . .

وظهر من حمزة فساد كبير ، فقصد إلى فتح بلاد ما وراء النهر ، فقصد إلى هراة وزرنج وخراسان وكرمان وقستهان وسجستان . . وكل بلد كانت تمنعه من دخولها كان يستعرض أهلها على السيف بظاهر البلد ، فيقتل منهم الكثير ويخرب أعمالها . . ولم يخل الأمر من خداع أهل البلد بلبس لباس جند بنى العباس ، حتى إذا ما دخلها خربها وقتل الشيوخ والمحاربة والنساء والأطفال ! . .

وقد حاولت الدولة المركزية التفاهم مع حمزة وأتباعه ، ولكن هيهات ! . . فأرسل المأمون له خطاباً ينصحه فيه بترك الخروج والعودة إلى حظيرة الدولة والتوبة . . فأبى وازداد فساداً فى البلاد . . فوجه إليه طاهر بن الحسين ، فالتقى بحمزة بنواحى خراسان ، فقتل من جند الفريقين عسكراً عظيماً بلغ ثلاثون ألفاً . . ولكن طاهر بن الحسين أخذ القعدة من الخوارج التابعين لحمزة ، ومثل بهم وقطعهم فى شكل بشع ، لعله يليق بالمغتصبين والمحاربين فى كل زمان ومكان .

وما زال حمزة يعيث بالبلاد حتى هزمهُ عبد الرحمن النيسابورى ، ومات متأثراً بجراحه وسكنت فتنة الخوارج ولكن إلى حين .

***

هـ- الصلتية [1]

أصحاب عثمان بن أبى الصلت ، أو الصلت بن أبى الصلت [2] تفرد عن العجاردة بان الرجل إذا أسلم تولاه وتبرأ من أطفاله ، حتى يدركوا فيقبلوا الإسلام !

ويحكى عن جماعة منهم أنهم قالوا : ليس لأطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة ، حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا ، أو ينكروا . .

***

---

(١) انظر المقالات ، ١/١٦٦ ، والملل والنحل ، ١/١٤٩ .

(٢) فى المقالات هكذا . . والخطط . . والفرق بين الفرق . . والملل .

و- الميمونية [٣]

أصحاب **ميمون بن خالد** ، كان من جملة العجاردة إلا أنه تفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشره من العبد ، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً ، وإثبات الاستطاعة قبل الفعل ، والقول بأن الله ، تعالى ، يريد الخير دون الشر ، وليس له مشيئة فى معاصى العباد .

وذكر **الحسين الكرابيسى** فى كتابه الذى حكى فيه مقالات الخوارج أن **الميمونية يجيزون** نكاح بنات البنات ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات ا.. وقالوا : إن الله، تعالى، حرم نكاح البنت ، وبنات الأخوة والأخوات ، ولم يحرم نكاح البنات ، وبنات الإخوة والأخوات ، ولم يحرم نكاح أولادهم هؤلاء .. وهكذا لم يتورعوا عن هتك الشريعة وتكذيب الرسول وتقنين الإباحية ، فى جسارة غير مسبوقة ولا ملحوقة .

وحكى **الكعبى والأشعرى** عن الميمونية إنكارها كون سورة يوسف من القرآن ، وقالوا بوجوب قتال السلطان وحده ، ومن رضى بحكمه ، فأما من أنكره فلا يجوز قتاله إلا إذا أعان عليه ، أو طعن فى دين الخوارج ، أو صار دليلاً للسلطان ، وأطفال المشركين عندهم فى الجنة .

ويكفر هؤلاء القوم ويخرجون من ملة الإسلام جملة وتفصيلاً ، بما أنكروا من كتاب الله ، وبما أحلوا مما حرم الله فى شرعة كتاباً وسنة .. واتساءل تحت أى تصنيف يصنف فكرهم، هل هو سياسى أم كلامى عقائدى ، أم تشريعى فقهى ؟!.. والأقرب إلى ظنى أنهم قوم مفترون ، أرادوا نزع يد الطاعة من الدولة وحربها ، وحاربوا بعضهم البعض وكأنهم رسل إبليس فى دولة الإسلام !

***

ز- الأطرفية [٢]

فرقة من الخوارج على مذهب **حمزة** فى القول بالقدر ، إلا أنهم عذروا أصحاب الأطراف فى ترك ما لم يعرفوه من الشريعة ، إذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل ،

---

(١) انظر الملل والنحل ، ١/١٤٩..

وأثبتوا واجبات عقلية ، كما قالت **القدرية** ، ورئيسهم **غالب بن شاذك** من **سجستان**، وخالفهم **عبد الله السديورى** وتبرأ منهم .

ومنهم **المحمدية** أصحاب **محمد بن رزق** ، وكان من أصحاب **الحسين بن الرقاد**، ثم برئ منه .

***

٦- الثعالبة [١]

أصحاب **ثعلبة بن عامر** ، كان مع **عبد الكريم بن عجرد** يداً واحدة إلى أن اختلفا في أمر الأطفال .

- فقال ثعلبة : إنا على ولايتهم صغاراً وكباراً ، حتى نرى منهم إنكاراً للحق ورضا بالجواز .

فتبرأ العجاردة من ثعلبة ، ونقل عنه أيضاً أنه قال ليس له حكم في حال الطفولة من ولاية وعداوة ، حتى يدركوا ويدعوا . فإن قبلوا فذاك ، وإن أنكروا كفروا ، وكان يرى أخذ الزكاة من عبيدهم إذا استغنوا ، وإعطاءهم منها إذا افتقروا .

أ- الأخنسية [٢]

أصحاب **أخنس بن قيس** ، من جملة **الثعالبة** ، وانفرد عنهم بان قال : أتوقف في جميع من كان في دار التقية من **أهل القبلة** ، إلا من عرف منه إيمان فاتولاه عليه ، أو كفر فاتبرأ منه ، وحرموا الاغتيال والقتل ، والسرقة في السر ، ولا يبدأ أحد من أهل القبلة بالقتال حتى يرى إلى الدين ، فإن امتنع قوتل ؛ سوى من عرفوه بعينه على خلاف قولهم ، وقيل إنهم جوزوا تزويج المسلمات من مشركي قومهم أصحاب الكبائر ، وهم على أصول الخوارج في سائر المسائل .

***

ب- العبدية [٣]

أصحاب **معبد بن عبد الرحمن** ، كان من جملة الثعالبة خالف الأخنس في الخطأ الذي وقع له في تزويج المسلمات من مشرك ، وخالف ثعلبة فيما حكم من أخذ الزكاة من عبيدهم ، وقال : إني لأبرأ منه بذلك ، ولا أدع اجتهادي في خلافه ، وجوزوا أن تصير سهام الصدقة سهماً واحداً في حال التقنية .

---

(١) راجع الفرق بين الفرق ، ص ١٠٠ ، والمقالات ، والتبصير ، ص٣٣ .

(٢) راجع الفرق .. ، ص ١٠١ ، والتبصير ، ص٣٣ .

(٣) راجع الفرق .. ، ص ١٠١ - والملل ١/١٠٣ .

جـ - الرُّشيدية (١)

أصحاب رشيد الطوسى ، ويقال لهم العشرية ، وأصلهم أن الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقى بالأنهار والقنى نصف العشر ، فاخبرهم زياد بن عبد الرحمن أن فيه العشر، ولا تجوز البراءة ممن قال فيه نصف العشر قبل هذا ، فقال رشيد : إن لم تجز البراءة منهم فإنا نعمل بما عملوا ، فافترقوا فى ذلك فرقتين .

وهكذا اضافوا إلى جهلهم بفقه الزكاة فى الفرق فيما يسقى بالراحة ، أو يسقى بماء الأنهار .. أضافوا إلى ذلك حكمهم على بعضهم البعض بالولاء والبراء ، وما يترتب على ذلك من القتل والنهب والاغتصاب والإبادة واستحلال ماحرم الله .. فهل نجد من يؤلف عن فقه الخوارج أوارائهم النيرة فى شريعة المصطفى ، ﷺ ؛ الذى تبرأ من أفعالهم .

***

د - الشيبانية (٢)

اصحاب شيبان بن سلمة ، الخارج فى أيام أبى مسلم ، وهو المعين له ولعلى بن الكرمانى (٣) على نصربن سيار (٤) ، وكان من الثعالبة ، فلما أعانهما برئت منه الخوارج ، فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته ، فقالت الثعالبة : لا تصح توبته ؛ لأنه قتل الموافقين لنا فى المذهب ، وأخذ أموالهم ، ولا يقبل توبة من قتل مسلماً وأخذ ماله إلا بأن يقتص من نفسه ، ويرد الاموال ، أو يوهب له ذلك .

ومن مذهب شيبان أنه قال بالجبر ، ووافق جهم بن صفوان فى مذهبه إلى الجبر ، ونفى القدرة الحادثة . وينقل عن زياد بن عبدالرحمن الشيبانى أبى خالد أنه قال : إن الله، تعالى، لم يعلم حتى خلق لنفسه علماً ، وأن الأشياء إنما تصبير معلومة له عند حدوثها ووجودها ، ونقل عنه أنه تبرأ من شيبان ، وأكفره حين نصر الرجلين .

---

(١) راجع الفرق بين الفرق ، ص ١٠٢ - الملل ، ١ / ١٥٣ .

(٢) راجع التبصير ، ص ٣٤ - الفرق بين الفرق ، ص ١٠٢ ، الملل والنحل ، ١/ ١٥٤ .

(٣) راجع الطبرى ، ٩/ ١٠٤ .

(٤) راجع ابن الأثير ، ٥/ ١٤٨ .

فوقعت عامة الشيبانية بجرجان ونسا وأرمينية ، والذى تولى شيبان وقال بتوبته عطية الجرجانى وأصحابه .

***

هـ - المكرمية [1]

أصحاب مكرم بن عبد الله العجلى ، كان من جملة الثعالبة وتفرد عنهم بان قال : تارك الصلاة كافرٌ ، لا من أجل ترك الصلاة ولكن من أجل جهله بالله ، تعالى ، وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الإنسان .

وقال : إنما يكفر لجهله بالله ، تعالى ، وذلك أن العارف بواحدانية الله ، تعالى ، وأنه المطلع على سره وعلانيته ، المجازى على طاعته ومعصيته أن يتصور منه الإقدام على المعصية ، والاجتراء على المخالفة ما لم يغفل عن هذه المعرفة ، ولا يبالى بالتكليف منه وعن هذا قال النبى عليه الصلاة والسلام : «لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهومؤمن » [2] الخبر .

وخالفوا الثعالبة فى هذا القول وقالوا : بإيمان الموافاة ، والحكم بان الله، تعالى، إنما يتولى عباده ويعاديهم، على ما هم صائرون إليه من موافاة الموت ، لا على أعمالهم التى هم فيها ، فإن ذلك ليس بموثوق به إصراراً عليه، ما لم يصل المرء إلى آخرعمره ، ونهاية أجله .

فحينئذ إن بقى على ما يعتقده فذلك هو الإيمان فنواليه ، وإن لم يبق فنعاديه . وكذلك فى حق الله، تعالى ،حكم الموالاة والمعاداه على ما علم منه حال الموافاة، وكلهم على هذا القول .

***

و - المعلومية والمجهولية [3]

كانوا فى الأصل خازمية ، إلا أن المعلومية قالت : من لم يعرف الله، تعالى،

---

(١) راجع الفرق بين الفرق ، ص ١٠٣ ، والملل والنحل ، ١/ ١٥٥ .

(٢) رواه البخارى ، ٨/ ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ١٧٨ ، ومسلم ، ١/ ٥٤ - ٥٥ ، والترمذى ، ٥/ ١٥ ، واحمد ، ٢/ ٢٤٣ و٣١٧ و٣٧٦ و٤٧٩ - وفى مواضع كثيرة من كتب السنة .

(٣) راجع الملل والنحل ، ١/ ١٥٥ ، والتبصير ، ص٣٣ .

بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به ، حتى يصير عالماً بجميع ذلك ، فيكون مؤمناً . فهم قد غالوا فى الجانب المعرفى من قضية التوحيد .

– وقالت : الاستطاعة مع الفعل ، والفعل مخلوق للعبد ، فبرئت من الخازمية . وهم بذلك يشبهون الأشاعرة.

وأما **المجهولية** فإنهم قالوا : من علم بعض أسماء الله، تعالى، وصفاته وجهل بعضها، فقد عرفه، تعالى ، وقالت : إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى . وهم بذلك مجبرة خالصة .

***

ز- البدعية

أصحاب **يحيى بن أصدم** . أبدعوا القول بأن نقطع على أنفسنا بأن من اعتقد اعتقادنا فهو من أهل الجنة ؛ ولا نقول : إن شاء الله ، فإن ذلك شك فى الاعتقاد.

ومن قال : أنا مؤمن إن شاء الله ، فهو شاك . فنحن من أهل الجنة قطعاً ، من غير شك.

وهذه المسألة تعرف بالاستثناء بالمشيئة فى الحال والمآل ، وللعلماء فيها آراء متعددة.. والصواب الاستثناء فى المآل (١).

ولكن أكثر **الأشاعرة** يستثنون فى الحال والمآل لا لقيام الشك، ولكن للتبرك أو للصرف إلى العاقبة .. فجاء الاستثناء عندهم تهيباً لاشكاً فى الإيمان (٢).

وذهبت **المعتزلة** إلى أن اليقين لا يحتمل الشك والزوال ، والاستثناء لا يصح إلا عند الشك أو خوف الزوال ، وما يوهم أحدهما لا يجوز أن يقال للتبرك (٣).

***

(١) انظر الآجرى : الشريعة ، ص ٣٧ .

(٢) انظر الرازى : المحصل ، ص ٢٤٠ .

(٣) الطوسى : ذيل المحصل ؛ ص ٢٤٠ .

٧ - الإباضيـة [١]

أصحاب عبد الله بن إباضى [٢] الذى خرج فى أيام مروان بن محمد [٣] ، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية ، فقاتله بتبالة ، وقيل إن عبد الله بن يحيى الإباضى، كان رفيقاً له فى جميع أحواله وأقواله .

آراء الإباضيـة:

تمثلت أراؤهم فيما يلى :-

١ - مخالفوهم من أهل القبلة كفار غير مشركين. وهذا يعنى استحلالهم للمجتمع.

٢ - جواز مناكحتهم . وهذا ما لا يفهم بعد تكفيرهم .

٣ - جواز غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب فهى حلال .

٤ - سوى ما سبق فهو حرام . وهل يبقى بعد ما سبق شئ !

٥ - كما يحرم قتلهم وسبيهم فى السر غيلة ، إلا بعد نصب القتال ، وإقامة الحجة. وهذا لا يعنى شرف الخوارج مع مخالفيهم .

٦ - دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد . وهو لا يفهم بعد تكفيرهم .

٧ - يستثنى من ذلك معسكر السلطان فإنه دار بغى .

٨ - أجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم .

٩ - مرتكبو الكبائر عندهم موحدون لا مؤمنون .

١٠- ذهب الإباضية إلى أن الاستطاعة عرض من الأعراض، وهى قبل الفعل ، بها يحصل الفعل. وهذا الرأى يشبه موقف المعتزلة من الاستطاعة.

١١- كما أن أفعال العباد مخلوقة لله ، تعالى : إحداثاً وإبداعاً، ومكتسبة للعبد حقيقة ، لامجازاً. وهو تناقض مع الرأى السابق

---

(١) راجع الملل والنحل ، ١/١٥٦ وما بعدها .. والفرق بين الفرق ، ص ١٠٣ وما بعدها والتبصير فى الدين ، ص ٣٤ وما بعدها .

(٢) راجع لسان الميزان ، ٣ / ٢٤٨ .

(٣) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ١٦٩ .

١٢- امتنعوا عن تسمية إمامهم أمير المؤمنين ، ولا أنفسهم مهاجرين .

١٣- كما ذهبوا إلى فناء العالم بفناء أهل التكليف .

١٤- وأجمعوا على أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة .

١٥- توقفوا فى الحكم على أطفال المشركين .. وإن جوَّزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام ، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلاً .

١٦- تبعوا أبا الهذيل فى القول بإمكان طاعة لا يراد بها الله تعالى .

١٧- اختلفوا فى النفاق هل يسمى شركاً أم لا ؟

١٨- ذهبوا إلى أن كل شئ أمر الله ، تعالى، به فهو عام ليس بخاص. وقد أمر به المؤمن والكافر ، وليس فى القرآن خصوص .

١٩- لا يخلق الله، تعالى، شيئاً إلا دليلا على وحدانيته ، ولابد أن يدل به واحداً.

٢٠- يجوز أن يخلق الله تعالى رسولاً بلا دليل ، ويكلف العباد بما أوحى إليه ، ولا يجب عليه إظهار المعجزة ، ولا يجب على الله، تعالى، ذلك إلى أن يخلق دليلاً، ويظهر معجزة!.. وهكذا نرى منتهى التناقض .

ويعتبر **الإباضية** أكثر الخوارج اعتدالاً ، يرون مخالفيهم كفاراً ، لكن بمعنى كفر النعمة لا كفر الملة ، ولذا تجوز مناكحتهم ومعاملتهم ، ودارهم ليست دار حرب : وقد عاشوا فى المجتمع الإسلامى إلى اليوم ، وتبادلوا التأثر والتأثير مع فرق كلامية أخرى فيما بعد ، وينسب إلى شيخهم **عبدالله بن إباض** أنه ألف كتابا فى «**العقيدة**» ، وهو أمر يكتنفه الشك ويحتاج إلى مزيد بحث [١] .

***

أ - الحفصية [٢]

أصحاب **حفص بن أبى المقدام** [٣] ، تميز عنهم بأن قال إن بين الشرك والإيمان خصلة

---

(١) مدخل إلى دراسة علم الكلام ، ص ٦٢ ، وبهامشه معمر : الإباضية ٦٥ ، وما بعدها .. وفرغل : نشأة علم الكلام فى الإسلام ، ص ٩٨ - ١٠١ .

(٢) انظر المقالات ، ١/ ١٧٠ - والفرق بين الفرق ، ص ١٠٤ ، والتبصير ، ص٣٤ .

(٣) راجع المقريزى ، ٤ / ١٨٠ .

واحدة، وهى معرفة الله، تعالى، وحده ، فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو قيامة أو جنة أو نار ، أو ارتكب الكبائر من الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، فهو كافر لكنه برئ من الشرك .

وهذا كلام متناقض يحمل خليطاً من الإرجاء والتطرف والغلو عند الخوارج .. ولا يمكن فهمه إلا فى إطار هذه العقلية التى أتت بكل غريب وتجعله قاعدة تحاكم الناس عليها ، وبعد ذلك تستبيح اعراضهم ودماءهم وأموالهم !

***

ب - الحارثيـــة [١]

أصحاب الحارث الإباضى . خالف الإباضية فى قوله بالقدر على مذهب المعتزلة ، وفى الاستطاعة قبل الفعل ، وفى إثبات طاعة لايراد بها الله ، تعالى .

وهو يقصد النظر المنفى إلى الإيمان .. وسياتى الحديث عن هذه القضية .

ويبدو أن أغلب الخوارج **مجبرة** فقد اكفروهم [٢] بمقالاتهم التى تبعوا فيها المعتزلة رغم صحتها عقلاً ونقلاً !

***

جـ - اليزيـديـة [٣]

أصحاب يزيد بن أنيسة [٤] قال بتولى المحكمة الاولى قبل الأزارقة ، وتبرأ من بعدهم إلا الإباضية فإنه يتولاهم ، وزعم أن الله، تعالى، سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كتب فى السماء، وينزل عليه جملة واحدة ، ويترك شريعة المصطفى محمد، عليه الصلاة والسلام ، ويكون على ملة الصابئة المذكورة فى القرآن ، وليست هى الصابئة الموجودة بحران وواسط .

---

(١) انظر الملل والنحل ، ١ /١٥٨ ، والتبصير ، ص ٣٤ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ، ص ١٠٥ ، والتعريفات ، ص ٥٥ .

(٣) انظر المقالات ، ١ /١٧٠ ، والملل والنحل ، ١ / ١٥٨ ..

(٤) راجع الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٩ .. فقد عدهم البغدادى من غير ملل المسلمين .

وتولى يزيد من شهد لمحمد المصطفى، عليه الصلاة والسلام ، من أهل الكتاب بالنبوة، وإن لم يدخل فى دينه ، وقال : إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون . وكل ذنب صغير أو كبير ، فهو شرك .

أفرد البغدادى أصحاب طاعة لا يراد الله بها كفرقة مستقلة [1] ، وقال : كما قال أبوالهذيل وأتباعه من القدرية ، ثم عقب على هذا بقوله إن أصحابنا يقولون : إن ذلك لا يصح – وهو يقصد الأشاعرة – إلا فى طاعة واحدة ، وهو النظر الأول ، فإن صاحبه إذا استدلَّ به كان مطيعاً لله ، تعالى ، فى فعله ، وإن لم يقصد به التقرب إلى الله ، تعالى ، لاستحالة تقربه إليه قبل معرفته ، فإذا عرف الله ، تعالى ، فلا يصح منه بعد معرفته طاعة منه لله ، تعالى ، إلا بعد قصده التقرب بها إليه .

***

(١) الفرق بين الفرق ، ص ١٠٥ ، والمقالات ، ١ / ١٧٢ .

ذكر ما انفرد به الإباضية من آراء شاذة [1]

١ – زعم بعضهم أن لا حجة لله، تعالى، على الخلائق في التوحيد وغيره إلا بالخبر، وما يقوم مقام الخبر من إشارة وإيماء.

٢ – قال آخرون أن كل من دخل في دين الإسلام، وجبت عليه الشرائع والأحكام، سمعها أو عرفها، أو لم يسمعها ولم يعرفها، وقال سائر الأئمة: لا يأثم بترك ما لم يقف عليه منها، إلا أن تثبت عليه الحجة فيه.

٣ – قال بعضهم من ورد عليه الخبر بأن الله، تعالى، قد حرم الخمر أو أن القبلة قد حوِّلت فعليه أن يعلم أن الذي أخبره به مؤمن أو كافر، وعليه أن يعلم ذلك بالخبر، وليس عليه أن يعلم أن ذلك عليه بالخبر.

٤ – وقال فريق منهم ليس على الناس المشي إلى الصلاة، ولا الركوب ولا المسير للحج، ولا شئ من الأسباب التي يتوصل بها إلى أداء الواجب، وإنما يجب عليهم فعل الطاعات الواجبة بأعيانها، دون أسبابها الموصلة إليها.

٥ – قالوا جميعاً بوجوب استتابة مخالفيهم، في تنزيل أو تأويل، فإن تابوا وإلا قتلوا، سواء كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله، أو فيما لا يسع جهله.

٦ – قالوا من زنى أو سرق أقيم عليه الحد، ثم استتيب، فإن تاب وإلا قتل.

٧ – أجازت الإباضية وقوع حكمين مختلفين في شئ واحد من وجهين، كمن دخل زرعاً بغير إذن مالكه، فإن الله قد نهاه عن الخروج منه، إذا كان خروجه منه مفسداً للزرع وقد أمره به.

٨ – كما ذهبوا إلى عدم اتباع المدبر من أهل القبلة، ولا قتل امرأة ولا ذرية، وأباحوا قتل المشبهة واتباع مدبرهم وسبي نسائهم وذراريهم، قياساً على ما فعله أبو بكر بأهل الردة.

٩ – تفرقوا إلى ثلاث فرق في جواز نكاح الخارجية منهم، من أهل القبلة من

---

(١) انظر الفرق بين الفرق، ص ١٠٦ وما بعدها.

مخالفيهم فمنهم من أجاز ذلك فى دار التقية ، ومنهم من توقف فى ذلك، والأغلبية منعت ذلك. وهم **الإبراهيمية والميمونية والواقفية** .

١٠- أدت المسألة السابقة إلى تكفير الإباضية بعضهم بعضاً ، فقد قال فريق يسمى **البيهسية** بأن من حرم بيع الأمة فى دار التقية من كفار قومنا كفر ولذلك كفروا ميموناً. ومن توقف كفر لأنه لم يعرف كفر **ميمون** وصواب **إبراهيم** ، أما براهيم فقد كفر هو الآخر ؛ لأنه لم يتبرأ من **الواقفة** .. ثم كفروا الرعية كلها بكفر الإمام!!..

وبعد فقد وقفنا عند فرق الخوارج لنبين أنهم لم يصدروا عن فلسفة عقلية أو نصوص شرعية ، ولكن أملت عليهم ظروف بيئية وعصبية قبلية ما ذهبوا إليه من آراء ، وتعاقبت واستفحلت صفحة أرائهم وتضخم مذهبهم من جزاء معادتهم للمجتمع ، وما أصروا عليه من أحكام ثم معادتهم لبعضهم البعض .. ترى هل صدقنا ووفقنا حين قلنا عليهم أنهم **طليعة التكفير فى الإسلام**، وينبغى الحذر من كل فكر شيطانى مشبوه، يتكاثر ويتوالد فى المجارير والكهوف، والأوكار النائية بعيداً عن العلم والعلماء ومراكز الاستنارة الإسلامية ؟!!

ملاحظة أخيرة:-

وأخيراً يجدر الشارة إلى أن **الخوارج** انقرضوا عدا **الإباضية** ، وانتشروا فى **المغرب** وجنوب شرقى الجزيرة العربية ، وصاغوا أصولهم الفكرية والعقائدية كما أصبح لهم فقه عملى متطور أيضاً ، بعد أن كان النشاط السياسى قد أغلب عليهم فى المرحلة السابقة .

وتبنى الإباضية - رغم وجود تيار محافظ بينهم - مناهج **المعتزلة** ؛ فقالوا بالتحسين والتقبيح العقليين ، ومالوا إلى تاويل كل ما يوهم التشبيه ولو ظاهراً ، ونفوا رؤية الله فى الآخرة - هذا مع قولهم القديم بخلود العصاة فى النار ، وبحرية انتخاب الإمام - ولا ينكر **الإباضية** اعتناقهم لهذه الآراء ، واتفاقهم مع المعتزلة بشانها ، وإنما يجادلون فى أن المعتزلة هم الذين أخذوها عنهم وليس العكس .

ويبدو أن وجود **الإباضية** فى أوساط سنية ، ومشاركتهم فى حياة **أهل السنة** بعد

انقراض المعتزلة فى المراحل اللاحقة ، وعداءهم للنزعات الشيعية الباطنية ، كل أولئك قد ساعد على تقوية الروح المحافظة بينهم ، وعلى اقترابهم أكثر فأكثر من أهل السنة، حتى إنهم يتبرأون من «الخوارج» ويتنصلون من متابعة المعتزلة [١] .

وإذا كانت الفرقة المعتدلة التى غلبت على الخوارج ، قد مالت إلى هذا الموقف الذى ينزع إلى المحافظة من الناحية الفكرية إلى حد ما ، فإن الاستقرار قد حد من نزعة الخروج والمقاومة ، التى غلبت عليهم فى مطلع ظهورهم ، وإن لم يفقدوا الاستعداد لتأييد آرائهم بالسيف فى أحوال كثيرة ، خلال القرنين الثانى والثالث ، كخروجهم فى سجستان وهراة ونيسابور فى المشرق، ومعاركهم مع الفاطميين فى المغرب [٢] .

وقد اختلف العلماء فى الحكم على الخوارج ، بعدما بدى منهم من تكفير وتفسيق وتبديع للمسلمين ، وقتالهم وانتهاك أعراضهم وغنيمة أموالهم ، وفعلوا كل منكر تحت وطئة فكرهم المتعنت ..

وأفضل ما قيل فى هذا الموضوع ، ما ذكره الإمام حجة الإسلام الغزالى من ضرورة كف اللسان عن أهل القبلة ، والاحتراز عن تكفيرهم ما داموا متمسكين بالشهادة[٣] .. إن استباحة دماء المسلمين المقرين بالتوحيد خطأ ، والخطأ فى ترك ألف كافر فى الحياة ، أهون من الخطأ فى سفك دم مسلم واحد [٤] .

***

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفى .. ، ٢ / ١٣٦ .

(٢) المدخل إلى دراسة علم الكلام ، ص ١٠٩ .. وبهامشه فلهوزن أحزاب المعارضة ، ص ٣٨ .

(٣) الغزالى : فيصل التفرقة ، ص ١٤٩ ، ١٦٥.

(٤) الشوكانى : نيل الأوطار ، ٧ / ٣٥٣ .